13me Année No. 630

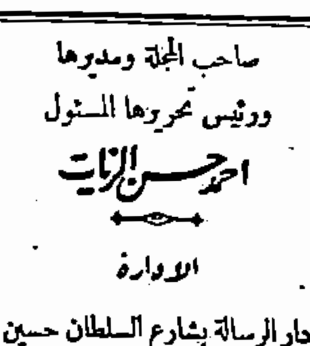
Lundi - 30 - 7 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique


صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٣٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٣٠ «القاهرة في يوم الإثنين ٢١ شعبان سنة ١٣٦٤ — ٣٠ يوليو سنة ١٩٤٥» السنة الثالثة عشرة

أحمد محرم (*)

لصاحب المعالي إبراهيم دسوقي أباظة باشا

أيها السادة الأماثل :

حياكم الله ، فلقد اجتمعتم في هذا الحفل الحاشد لتكريم سيرة راحل خالد كنت أحب أن أشارككم في الاحتفاء بها ، فأحضر بنفسي لأرد بعض الصنيع الأدبي الذي عليّ لفقيد الشعر العربي المنفور له الأستاذ أحمد محرم ؛ فكم له من أياد خالدات على مصر والمصريين ، سوف يذكرها له تاريخ الأدب الحديث . فقد أضاف الشاعر الكبير ثروة ضخمة إلى تراثنا الأدبي كنا في أمس الحاجة إليها منذ أن ألقى سامي باشا البارودي بأعنة القيادة إلى خلفائه الفحول : شوقي وحافظ ومحرم ومطران والكاشف . رحم الله من رحلوا ، ومتع الباقين بالصحة والعافية

كان شاعرنا الكبير أحمد محرم بين هؤلاء الأعلام علماً بارزاً ساهم بأوفى نصيب في بناء صرح الشعر الحديث ، فتجاوبت أرجاء وادي النيل بأصداء قصائده الجياد قرابة نصف قرن ؛ وشعره يعتبر سجلا زاخراً بشتى ألوان السياسة والاجتماع ، لم يفرط في صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها من شئون القومية الصادقة والوطنية الكريمة العاملة

وشيء واحد أريد أن أقرره لشاعرنا الكبير ، كثيراً ما دار بخلدي ، ولعله من خصائص شاعريته — رحمه الله — وهو بهذا الشيء يقف وحده بين سائر أئمة الشعر العربي الحديث ، ذلك أنه شاعر الإسلام غير منازع في عصرنا هذا

فلقد توفر منذ حداثته على دراسة آثار الإسلام من علوم ومعارف ، ولم يدرج في بيئة دراسية توجهه وتبصره بمناحي الدراسة والتحصيل

... فلم نسمع أنه درس في الأزهر أو أي معهد آخر ، بل عكف وحده على المنابع الثرة للغة العربية من كلام الله وكلام العرب ، يهديه وحي الفطرة النقية ، وتدفعه نوازع المواهب الأصيلة، فشب نبتاً كريماً رويه هذا الورد المورود حتى أينع وأخرج شطأه واستوى على سوقه

وكان لكل ذلك أعمق أثر اضطرب في نفس شاعرنا الكبير مما حداه في أخريات أيامه إلى نظم ملحمته الكبرى (الإلياذة الإسلامية) التي عارض بها (إلياذة هوميروس) ، وهو بهذا العمل المجيد الذي جاء نتيجة موفقة لنشاط المواهب التي استوعبت أمجاد الإسلام ومفاخره وأزهى أيامه وعهوده ...

(*) ألقيت في الاحتفال الذي أقيم بدار سينما بلدية دمنهور لتأبين الشاعر الكبير المغفور له الأستاذ أحمد محرم يوم الثلاثاء ٢٤—٧—١٩٤٥

هو بهذا العمل يقف وحده فى الطليعة بين قادة الشعر الحديث .

وليس هذا المجهود على ضخامته وفخامته لشاعرنا فحسب ، بل أذكر أننى قرأت له فى إحدى المجلات الأدبية الكبيرة ثلاث قصائد فى موضوع واحد وغرض واحد متباينة فى سمو معانيها ، وصفاء ألفاظها ، ودقة أساليبها ، فلا تكرار فى المعانى ، ولا تشابه فى الأساليب والألفاظ ... تلك قوة منقطعة النظير ، لا تواتى إلا من هو فى مواهب شاعرنا الممتازة ، وعبقريته النادرة ، التى تعاونت فى تكوينها أسباب الثقافة الإسلامية ، وكان ذلك الموضوع الذى أحدثكم عنه هو (غزوة بدر الكبرى)

تلك ناحية باقية تكفى وحدها لتخليد ذكره بين عظماء الفكر الحديث ، فهو الشاعر الإسلامى العربى فى كل ما ينتجه ذهنه الخصب وخياله الواسع

ديباجة مشرقة ، وأداء محكم ، وأسلوب أنيق ، كل ذلك يصدر عن طبع أصيل فى نفس شاعرة تستلهم أصدق مصادر الشعر العربى ، وكان يتجلى ذلك حينما تستثار شاعريته الفياضة فى موضوع يتصل بمذخوره العربى الخالص

فشاهد الحركة الإسلامية الأولى ومجالى طبيعتها الشاعرة فى عصورها الناصعة تسيل لها نفسه معانى وأخيلة فى كثير من الدقة والجمال . تلكم الصحراء ، يزورها الشاعر مع رفقة من أصدقائه وأحبائه ، فتجرى على لسانه قصيدته البارعة الرائعة التى حلت بها جريدة الأهرام جانباً كبيراً من صفحتها الأولى استهلها رحمه الله بقوله :

هى الدنيا التى تسع الجبالا فسر إن شئت أو ألق الرحالا
هى الدنيا التى وسعت خيالى مررت بها فظنتنى خيالا

هذا ، ولقد مر شاعرنا الكبير يعبر دنياه كما يقول كالخيال الخاطف ، لم يخلف من آثاره العديدة شيئاً مذكوراً ، وأرجو أن أوفق فى رجائى زميلى صاحب المعالى وزير المعارف ليصدر أمره بطبع أثره الفنى القيم الماثل فى (الإلياذة الإسلامية)

وبذلك تكون الحكومة قد أدت بعض الحق للشاعر الكبير المغفور له الأستاذ أحمد محرم ، عوض الله اللغة العربية عنه خيراً ، وأجزل له بقدر ما أدى إلى وطنه العزيز فى نهضته الفكرية الحديثة إنه سميع مجيب .

إبراهيم دسوقى أباظة

عم يتساءلون ؟

للأستاذ أحمد رمزى

إن الذين رأوا حربين عالميتين ، أطلقوا على الأولى « الحرب العظمى » ، وعلى الثانية « الحرب العالمية » ! يتساءلون اليوم عما يأتى به الغد لهذا البلد الأمين

لقد تبلورت أمانينا عند نهاية الحرب الماضية فى كلمة « الاستقلال التام » ، نخيل إلينا أنها سلم النجاة ، وتلقينا من قادتنا أن علة بلادنا هى سيطرة الغالب على مرافق الحياة فيها ، وأن العلاج الشافى هو « الاستقلال » !

وها نحن أولاء اليوم — كما بدأنا بالأمس فقط — تغير الإسم ، فأصبح « الأمانى القومية » بدل عنوان « الاستقلال » ، ولكن هناك فارق ، ففى الماضى كنا نصدق ونؤمل وننتظر . كنا ننظر إلى القادة نظرة ملؤها الإجلال . أما اليوم ، فإننا نجر وراءنا ربع قرن من التجارب القاسية ، والأحلام الضائعة ، والآمال التى لم تتحقق . فهل لدى هذا المجموع اليوم من القوى الروحية الواقعة ما يجعله يترقب طلوع شمس الحقيقة ، كما تطلع إليها الجيل السابق وعمل للوصول إليها ؟

من واجب الجيل الناشئ والمخضرمين أن يوجهوا هذا السؤال إلى أنفسهم أولا ، وأن يعلموا يقيناً أنه قد يسهل تحريك الشعور الوطنى أو القومى أو العاطفى ، كما حدث عام ١٩١٩ ، ولكن لا نريد أن تتكرر أخطاء ٢٥ عاماً مرة أخرى ، فما العمل ؟

يجب أن نعرف مقدار ما لدينا من عوامل البناء قبل أن نحرك القوى النافعة ، لكى لا تعرض مشروعاتنا دائماً للفشل والتراجع كما حدث فى الماضى ، وكما يحدث فى الوقت الحاضر

ولنا أن نتساءل : إلى أى مدى يمكن أن تسير بنا القوى الروحية والمقاييس العليا والسياسة العاطفية ؟ ولماذا تتبخر هذه القيم وتفنى لدى الصدمة الأولى ؟

إذا عدنا إلى أنفسنا وجدنا أننا نشأنا على النمط الذى وجدنا عليه آباءنا من قبل ، فحملنا أخطاءهم ومزاياهم ، وجاء التعليم

الحديث الأوربي ، فتعلمنا على القدر الذي سمح لنا به ، كما صيغت نفوسنا في القالب الذي أراد واضعو هذا التثقيف أن نصاغ عليه ، فما ذا كانت النتيجة ؟

جاءت أذواقنا مختلفة ، وثقافتنا واهية ، ونظرتنا للأشياء ناقصة ، وهذه مجتمعة علة هذا التبلبل والتفكك القائم اليوم

واكتفينا بالسير على قدر ، والنوم على الأمجاد الماضية ، وكانت الوعود غير المعقولة تغذينا ، والعبارات المسجعة تشبعنا ، وطالما خدرتنا الألفاظ والمقالات المنمقة ، فلهونا بالمظهر عن الجوهر وعما ينفع الناس ويمكث في الأرض ؟

وأخوف شيء على مستقبل هذه الأمة أن تنشئ الجيل الجديد على هذا النسق ، فهل لدينا من الشجاعة والإخلاص الصحيح ما يدفعنا إلى إنقاذه وحمايته من الأقدار التي لم تنصفنا ؟

سؤال تصعب الإجابة عليه ، ولكن فلنجتهد أن نواجه أكبر أزمة مرت بالبلاد منذ قرون طويلة ، ذلك لأننا نعيش في عالم يتطور بسرعة غريبة لم نعهدها من قبل ، وسيصيبنا منه الكثير من الخير والشر معاً

أضف إلى ذلك أن القيم الروحية والقيود الخلقية التي عشنا أجيالا تحت أكنافها ، قد أخذت تنهار ولم تترك ما يحل مكانها ، ورأينا في خمس سنوات الحرب ، وهي تعدل خمسين عاماً تقدماً مادياً يكاد يكون خاطفاً ، وتسابقاً إلى إحراز الغنى والثروة في أي طريق ، ويصحب كل هذا تدهور أخلاقي ، وفقدان للثقة ، وسخرية من كل من يؤمن بالصالح العام ، أو يدعو إليه

وأمامنا جيل ناشئ يرجو لأمته حياة أرقى وأعلى وأسعد مما نعيش عليه الآن ، وهو جيل سيحاسب ويناقش ، وبما أنه إنساني ، فمن الطبيعي أن يتعجل الخطوات ، بل يخلق الظروف لاستعجالها ، وسيترم في نفسه القوة والقدرة ، وسيكافح إلى مدنية جديدة أقرب إلى أحلامه وأكثر طلاوة ونفعاً مما ألفناه ، وسيقول : إنني أريد أن أحيا حياة أقرب إلى حياة البشر ، فما ذا أعددنا لهذا اليوم ؟

أنا لست بمتشائم ، ولن أحاول أن أقلل من طاقة مصر ، أو من قيمة القوى الإنشائية والخلقية ، ولكني أخشى الأخطار التي تواجه هذا الجيل ، وأولها الغرور الذي يتملك الأفراد والجماعات على السواء ، وقد أصبح علة من علل المجتمعات الشرقية الناشئة .

إننا ندعوه أن يتعرف على نفسه ، فإذا عرف ما ينقصه أسرع إلى استكماله ؛ وإذا اكتشف نواحي القوة الكامنة التي لديه أخذ في تقويتها . ثم ليعرف تماماً أن مقدرات هذا الوطن ليست ملكا له وحده ، بل هناك من الآباء والأعمام والأخوال والأخوة من لهم الحق معه ، وهناك قوى أخرى غير ظاهرة لها وزنها .

وليعلم أيضاً أن المسائل السياسية إذا حلت على حسب رغباته فإنها لا تكفي لإسعاد الأمة ، بل إن العمل بعد تصفيتها أخصب في المطالبة بها : لأن قدرة هذه البلاد محدودة ، وقوة الأفراد الإنشائية ومقدرتهم على التنظيم محدودة ، فلا يمكن أن نبالغ فيما يمكن عمله ، وما يمكن أن نصل إليه

احمد رمزي

طلائع المجد الطريف

في أفريقيا الشمالية

ماذا فعلنا من أجلهم ؟

الأستاذ توفيق محمد الشاوي

دعك من حديث ماضينا المجيد الخالد ، فإن التاريخ الأمين لن ينسى هذه القرون الطويلة التي حملنا فيها لواء الحضارة ، ورفعنا راية الإنسانية السامية ، وانتقل معي إلى حديث طريف ، لا نذكره للتاريخ فحسب ، ولكن ليسمع كل عربي يؤمن بقوميته وعروبته ، وكل مسلم ثابت على عقيدته ورسالته ، فينفض عن نفسه غبار الذلة ، ويلحق بركب المجاهدين في سبيل دينهم وقوميتهم ، قبل أن يسجل التاريخ علينا معرة التفريط والعجز .

هذه صورة مجيدة من صور الجهاد العربي ، في شمال أفريقية ، ثغر العروبة وحصنها الغربي ؛ على سفوح جبال الجزائر الشماء ، حركة دائبة ، تجمع فيها أسود العروبة وأبطال الكفاح يرقبون مطلع نجم جديد ، يسمونه نجم أفريقيا الشمالية ، اتخذوه شارة لوحدتهم ، وعلامة لاستقلالهم ؛ وقد علموا أنه لا يشرق إلا مخضباً بالدماء ، ولا يسبح إلا في مجرة من نور التضحية والاستشهاد . من حولهم مدن الجزائر المحبوبة لا يكدر صفوها إلا عبث هؤلاء المستعمرين مستكلبين على شهواتهم ، مغرورين بسلطانهم ، يحتفلون بما يسمونه يوم « النصر » ، النصر الذي لم يستحقوه بجهادهم ، ولم ينالوه بتضحياتهم ، ثم أبوا إلا أن يحتفلوا به أسبوعاً كاملاً أرادت فرنسا أن تبيح لشعبها فيه ما شاءت من طعام وشراب لا تملك منه شيئاً ، فبعثت وكلاءها وأذنابها يغتصبون طعام العرب في شمال أفريقية مستعملين في ذلك أساليبهم الاستعمارية الرجعية ؛ كما أنهم عادوا إلى سياستهم العتيقة لمحو القومية العربية ومحاربة عناصرها من دين ولغة وآداب وتقاليد ووحدة ، حتى نفد صبر العرب المجاهدين . وهاهم أولاء يبدأون كفاحهم في يوم « النصر » حاملين سلاحهم العزيز ، كما حمله أسلافهم من قبل أمثال عبد القادر وابن عبد الكريم . وهذا سيلهم ينساب على مراكز المستعمرين ومراتع لهوهم وعبثهم ، فألقوا عليهم درساً جديداً في بطولة العرب وإبائهم ، وشجاعتهم وثباتهم ، وذكروهم بأن حرية العربي أغلى من أن تختلس في غفلة ، وأن دمه العزيز لا يهدر إلا في ميادين القتال فداء الوطن والدين ...

ولا يزال صدى هذه المعارك يرعب الفرنسيين ويقض مضاجعهم، وقد جعلهم يفكرون مرتين قبل أن يقدموا على ما أرادوه من استئناف سياسة الاستعمار الوحشية البالية ، وزاد غيظهم أنهم لم ينالوا من المجاهدين نيلاً يروي حقدهم ، فسلطوا قلوبهم — التي فرت من ميدان الكفاح الشريف أمام الألمان — على المدن الآمنة والسكان المسالمين فضربوهم بمدافعهم وطائراتهم وقتلوا آلاف المدنيين الذين لا ذنب لهم ، وانجلت الثورة عن هالة حمراء من دماء العروبة الزكية أطل منها النجم المرتقب ، نجم المجد العربي الطريف ، نجم وحدة أفريقيا الشمالية واستقلالها يرقب من بعيد هلال الوحدة العربية في الشرق ، لعله يستجيب فتجمعها جامعة العروبة وروح الإسلام في سماء العزة والسيادة .

ونحن في الشرق ، ما ذا فعلنا من أجل هذا النجم العزيز وهذا الأمل المشترك ؟ هل مددنا أيدينا إلى هؤلاء العرب المجاهدين في المغرب لنربط جهادنا بجهادهم ، ونشد أزرهم في كفاحهم ؟ ستجيب « الجامعة العربية » عن ذلك ؛ ولكني أسائل المصريين الكرماء الذين ساعدوا منكوبي الإنسانية من كل جنس ولون : من الحبشة إلى اليونان إلى اليوغوسلاف والهولنديين والبلجيكيين بل والروسيين في ستالينجراد ، ألم يعلموا أن هذه الثورة العظيمة في الجزائر قد أسفرت عن منكوبين لا يقلون عن خمسة آلاف وأسرهم ، بين قتيل وجريح وسجين باعتراف الحكومة الفرنسية نفسها ، وإن كانوا لا يقلون عن ثلاثين ألفاً في تقدير المصادر المحايدة ؟ فأين ذهبت النجدة والكرم ، وأين حكومتنا التي تدفع الملايين من الجنيهات لتعمير بلاد أوربا « المحررة » أليس من الأولى أن تفكر في تحرير أوطان العروبة المستعمرة ، أو إنقاذ إخواننا المنكوبين في تلك البلاد الشقيقة ؟

توفيق محمد الشاوي
مدرس بكلية الحقوق — بجامعة فؤاد

فى إرشـــاد الأريب
إلى معرفة الأديب
للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ١٠ —

* ج ١٧ ص ٢٦٠ : وله (للأبيوردى) :

ما للجبان ألان الله ساحته ظن الشجاعة مرقاة إلى الأجل
وكم حياة جبتها النفس من تلف ورب أمن حواه القلب من وجل
فقت الثناء فلم أبلغ مداك به حتى توهمت أن العجز من قِبلي
والى أن يصف الورقاء مادحها
بالطوق أو يمدح الأدماء بالكَحَل[1]

وجاء فى الشرح : ألان الله ساحته : أى سهل الله خيانه (جبتها) : جمعتها ، وهى فى الأصل (حبتها) تحريف

قلت : (ما للجبان ألان الله جانبه) ذلله . و (كم حياة جنتها النفس من تلف) جنى يجنى . و (بالطوق أو يمدح الأدماء بالكحل) .

* ج ١٤ ص ١٩٩ : ومن تستحسن شعره (يعنى أبا الفتح ابن العميد على بن محمد) :

عودى وماء شبيبتى فى عودى لا تعمدى لمقاتل المعمود[2]
وصليه ما دامت أصائل عيشه تؤويه فى فىء لها ممدود
ما دام من ليل الصبا فى فاحم رجْل القرا فينان كالعنقود[3]

(١) الأدماء : السمراء . اللسان : الأدمة فى الانسان السمرة . فى التهذيب : السمرة لون الأسمر ، وهو لون يضرب إلى سواد خفى ، وفى صفته (صلى الله عليه وسلم) كان أسمر اللون . السمر ظل القمر والسمرة مأخوذة من هذا .

(٢) العميد والمعمود : الذى بلغ به الحب مبلغاً . وقلب عميد هده العشق وكسره (اللسان) .

(٣) شعر رجل — بفتح الجيم وكسرها وسكونها — بين السبوطة والجعودة ، وفى صفته (صلى الله عليه وسلم) كان شعره رجلا أى لم يكن شديد الجعودة ولا شديد السبوطة بل بينهما (اللسان) .

(فينان) له أفنان كأفنان الشجر ، وقد منع الشاعر صرفه وهو مصروف كما قال سيبويه ، رجل فينان وامرأة فينانة .

قتل الزمان فطارقات جنوده يبدلنه يققاً بربد سود

قلت : فى اليتيمة ، ومنها نقل ياقوت :

قتل المشيب فطارقات جنوده يبدلنه يققاً بسُحْم سود

والخصومة اليوم بين الشاعر وبين المشيب[1] ، وهو إنما يدعو عليه . والمعروف قولهم : شعر أسحم - والأسحم الأسود - لا شعر أربد . والربدة هى نحو الرمدة وهى لون الرماد كما فى الأساس . أو نحو الطُّحلة وهى بين الغبرة والبياض بسواد قليل ، وهو طحل والأربد نحوه كما فى المخصص . قال الحماسى (بكر بن النطاح) :

بيضاء تسحب من قيام فرعها
وتغيب فيه وهو وَحْف أسحم[2]
فكأنها فيه نهار ساطع وكأنه ليل عليها مظلم

وقال أبو الطيب :

راعتك رائعة البياض بعارضى ولو انها الأولى لراع الأسحم[3]
ولقد رأيت الحادثات فلا أرى يققاً يميت ولا سواداً يعصم[4]

وقال الأبيوردى :

لك من غليل صبابتى ما أضمر وأسر من ألم الغرام وأظهر
وتذكرى زمن العذيب يشفنى والوجد ممنو به المتذكر[5]
إذ لمتى سحماء مد على النقا أظلالها ورق الشباب الأخضر

وقد ذكرنى بيت ابن العميد وقوله فيه : (بسحم سود) بنكتة مهمة لغوية فى (المخصص) وهى هذه :

فأما قوله تعالى : ومن الجبال جدد[6] بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود — فلا أعلم لأحد فيه مزيداً على أن سماه تأكيداً ؛ وإنما كيد ساذجاً غير مزيد عليه لا يقرعين الفهم بالنظر إليه ، بل هو فرع دانى الجناة ، وشرط يدركه طالبه .

(١) بين تكرر مع الظاهر كما تكرر مع المضمر ، وقد أخطأ الحريرى وغيره فى تخطئة ذلك .

(٢) شعر وبنات وحف ، وقد وحف — بضم الحاء — وحافة : كثف واسود (الأساس) .

(٣) لا يرعك شيبى فلو كان أول لون الشعر بياضاً ثم اسود لراعك الأسود إذا ظهر ، فلا تراعى للبياض فانه كالسواد (العكبرى) .

(٤) أبيض يقق : شديد البياض .

(٥) منى بكذا : بلى به ، وهو ممنو به (الأساس) .

(٦) ومن الجبال طرائق وهى الجدد وهى الخطط تكون فى الجبال بيض وحمر وسود كالطرق واحدتها جدة (الطبرى) .

بالتؤدة والأناة . فنحن نلتمس له طبيعة تمده ، ومعنى يجلو من دونه فيحدده ، إلا أن تدفع داعية الضرورة ، إلى أن يكون بخلاف هذه الصورة . فأما ونحن نجد عن ذلك متندحاً عريضاً ، ومنفسحاً أريضاً ، فإنا لا نفرغه ، من فائدة تعرّه وتسوغه . وهذا التأكيد الذي في هذه الآية مما يقبل التعليل ، ويسع التأويل ، فلا تقبلنه ساذجاً ، ولا تستعملنه خارجاً ، فأقول : إن في هذه الآية ثلاثة أنواع من اللون محولة بالاشتقاق على موضوعاتها ، وهو الأبيض والأحمر والأسود ، ولهذه الأنواع الثلاثة في هذه اللسان العربية أسماء مستعملة قريبة ، وأخر بالإضافة إليها وحشية غريبة ، لا تدور في اللغة مدارها ، ولا تستمر استمرارها ، ألا ترى أن قولنا أبيضُ وأحمرُ وأسودُ من اللفظ المشهور ، وقد تداولته ألسنة الجمهور ، وقولنا في الأبيض ناصع ، وفي الأحمر قُمُدٌّ ، وفي الأسود غربيب ، من الأفراد التي رفعت عن الابتذال ، وأودعت صواناً في قلة الاستعمال ، مع أنك لا تجدها في غالب الأمر إلا تابعة للألفاظ المشهورة ، يقولون أبيض ناصع وأحمر قد وأسود غربيب ، وإن كان قد يستعمل مفرداً كقوله : (بالحق الذي هو ناصع) و (يعصر منها ملاحيّ وغربيب) و (بقمد كسائل الجريال) لكنني إنما قلت بالأغلب والأذهب . فلما ذكر تعالى هذين النوعين المشتقين بالإسمين المشهورين الأبيض والأحمر ، وشفعهما باللفظ الغريب الذي لا تكاد تراه إلا تابعاً وهو الغربيب قرنه بالإسم المشهور الذي هو الأسود ، وصار بمنزلة صفة .

قلت : وابن جرير الطبري في (جامع البيان) وهو تفسيره المشهور يقول : وجعل السواد ههنا صفة للغرابيب .

* ج ١٨ ص ١٧١ : الله المستعان ، أساء سمعاً فأساء إجابة .

وفي الحاشية : في الأصل فأساء جابة . قلت : الأصل صحيح . وهذا من أمثالهم . وقد رواه الصحاح والأساس واللسان والتاج ، وقال الجوهري : هكذا يتكلم بهذا الحرف ، وقال الزمخشري : أي إجابة كالطاعة والطاقة . وفي (مجمع الأمثال) في شرحه : يقال : أجاب إجابة وجابة وجواباً وجيبة ، ومثل الجابة في موضع الإجابة — الطاعة والطاقة والغارة والعارة[1] .

(١) اللسان : العارية منسوبة إلى العارة ، وهو اسم من الأعارة تقول أعرته الشيء أعيره إعارة وعارة ، قال ابن مقبل :

فأخلف وأتلف إنما المال عارة ... وكله مع الدهر الذي هو آكله

وفي الصحاح : العارية بالتشديد كأنها منسوبة إلى العار لأن طلبها عار وعيب

* ج ١٣ ص ٢٨٩ : قال (علي بن عبد الله بن وصيف الناشئ[1]) لما وفدت على سيف الدولة وقع فيّ أبو العباس النامي[2] [3] ، وقال : هذا يكتب التعاويذ . فقلت لسيف الدولة : يتأمل الأمير فإن كان يصلح أن يكتب مثله على المساجد بالرّيج فالقول كما قال . وأنشدته قصيدة أولها (الدهر أيامه ماض ومرتقب) وقلت فيها :

فارحل إلى حلب فالخير منحلب
من نيل كفك إن لاحت لنا حلب

فقال : يا أبا الحسين ، بيت جيد لكنه كثير اللبن ...

وجاء في الشرح : الريج في الأصل الدبغ . والريج والروبج : الدرهم الصغير الخفيف .

قلت : (يكتب مثله على المساجد بالزاج) في التاج : والزاج ملح معروف ، وقال الليث : يقال له : الشب اليماني ، وهو من الأدوية وهو من أخلاط الحبر . وفي (الألفاظ الفارسية المعربة) : الزاج تعريب زاك أي ملح يصبغ به .

* ج ٣ ص ٢٥١ : والمنجم أبو الفتح أحد من سلك سبيل آبائه في طرق الآداب (واهتدى بهديهم في تلك إلى الفضائل من كلٍّ) روى عنه أبو علي التنوخي في نشواره فأكثر ، ووصفه بالفضل وما قصّر .

قلت : ربما كانت الجملة التي وضعتها بين قوسين بهذه الصورة : واهتدى بهديهم من تلك الفضائل إلى كل باب .

* ج ١٧ ص ١٦١ : أحسنت والله يا أبا الندى ، وأحسنت .

قلت : وقد وردت هاتان الجملتان أنفسهما في ص ١٦٢ من هذا الجزء ، ومعهما هذه الواو العاطفة ، واليقين أنها من زيادة الناسخين ، إذ بين الجملتين كمال الاتصال ، وهو مانع من مثل هذا العطف .

* ج ١٧ ص ١٦١ :

يا قبر نجدة لم أهجرك مَقْلِيَةً ... ولا جفوتك من صبري ولا جلدي

قلت : مقلية — بفتح الميم لا بضمها كما ضبطت في الكتاب —

(١) الأصغر ، والناشئ الأكبر عبد الله بن محمد .

(٢) في وفيات الأعيان كنيته أبو الحسن .

(٣) احمد بن محمد الدارمي من فحولة شعراء عصره وخواص مداح سيف الدولة وكان عنده تلو المتنبي في المنزلة والرتبة (ابن خلكان)

وليس فى العربية أقلاه حتى تجئ مقلية . فى اللسان : قليته قِلى وقِلاء ومَقلية : أبغضته . وفى الأساس : وهو يقليه ويقلاه ، وفعل ذلك عن قلى ومقلية .

* ج ٢ ص ٩٣ : وله (للصابى) :

وجع المفاصل وهو أيسر (٢) ما لقيت من الأذى
جعل التى استحسنته والناس من حظى كذا
والعمر مثل الكأس يرسب (٢) فى أواخرها القذى

وجاء فى الشرح : من حظى متعلق باستحسن ، وكذا إشارة إلى وجع المفاصل ، والناس ترفع عطفاً على فاعل استحسن وينصب مفعولاً معه وهو أرجح :

قلت : واليأسَ بالنصب عطفاً على التى ، و (كذا) كناية عن حالته هنا .

* ج ١٦ ص ١٦٥ : لا تتصدَّر إلى فائق أو مائق .

قلت : (لا تتصدّ لفائق أو مائق) لأن الأول يغلبك والثانى يتعبك .

* ج ١٥ ص ٦٩ : ومن كتابه[1] (كتاب سرعة الجواب ومداعبة الأحباب) أنشدنا الإمام أبو الحسن على بن أبى زيد فى المذاكرة وقد رُقى إليه كلام قبيح عن بعض أصدقائه فقال مستشهداً :

إنى إذا ما الخليل أحدث لى صَرماً وبل الصفاء أو قطعا
لا أختشى ماءه على رنق ولا يرانى لبينه جزعا
اهجره ثم ينقضى زمن الهجران (٢) عنا ولم أقل قذعا
احذر وصال اللئيم ، إن له عَضْهاً إذا حبل ذكره انقطعا

وجاء فى الشرح : عضها أى تمزيقاً وتفريقاً .

قلت : الأبيات للمتوكل الليثى فى (الحماسة) وفيها (غُبّر الهجران[2]) مكان (زمن الهجران) و (حبل وصله انقطعا[3]) .

* ج ٧ ص ١٥٨ : ومن شعر (جعفر بن أحمد السراج البغدادى) :

دع الدمع بالوكف يُنكى الخدودا فإن الأحبة أضحوا خموداً

وجاء فى الشرح : من نكأ الرجل القرحة : قشرها قبل أن تبرأ .

قلت : (تنكى) بفتح التاء ، نكاه ينكيه لا أنكاه ، ولم تكن قبل البكاء فى الخدود قرحة حتى يدعو الدمع إلى نكئها . وإنما يدعوه اليوم إلى نكايتها : إلى جرحها وتعذيبها ...

* ج ١٨ ص ١٤٣ : وقال ابن دريد فى النرجس :

عيون ما يلم بها الرقاد ولا يمحو محاسنها السهاد
إذا ما الليل صافحها استهلت وتضحك حين ينحسر السواد
لها حدق من الذهب المصفى صياغة من يدين له العباد
وأجفان من الدر استفادت ضياء ، مثله لا يستفاد
على قضب الزبرجد فى ذراها لأعين من يلاحظها مُراد

قلت : (مَراد) بفتح الميم هنا لا ضمها . أى مجال . فى الأساس : وراد رَوَداناً : جاء وذهب ، وراد النعم فى المرعى : تردد ، وهى فى مَرادها . وفى التاج : مراد الريح : حيث تجئ وتذهب .

* * *

فى الرسالة ٦٢٥ فى القسم - ٦ - يروى البيت الآتى بهذه الصورة :

بل ثياب القين بزكم وثياب القين مُشتيره

بيت أبى تمام فى القسم - ٨ - فى آخره ، هذه روايته :

يحميه لألاؤه ولوذعيته من أن يذال بما أو ممن الرجل

ولم يجئ (فى طبعة إرشاد الأريب) بيتاً وإنما جاء كلاماً منثوراً ...

(١) الحسن بن جعفر بن عبد الصمد .
(٢) الغبر : البقايا واحدتها غبرة (التبريزى)
(٣) يقول : احذر مواصلة اللئيم ومؤاخاته لأنه إذا انقطع حبل وصله تكذب عليك وتخلق من الافك فيك ما لم تكسبه . ويقال : عضهته إذا رميته بالزور ، وعضه الرجل أتى بالعضيهة وهى الافك (التبريزى) .

محالفة ثلاثية ضد العالم

للأستاذ نقولا الحداد

بعد أول اجتماع بين تشرشل وروزفلت ألقى تشرشل خطبة في مجلس العموم ، قال فيها إنهما اتفقا على أن يكون في العالم هيئتان دوليتان كبريان تحلان محل جامعة الأمم المرحومة : الأولى غربية لجميع دول أوروبا وأميركا . والثانية شرقية على مثالها . والهيئة الأولى تؤلف من روسيا وانجلترا والولايات المتحدة كدول أساسية ، ثم تنضم إليها الدول الأخرى تابعة أو ثانوية لها. ولم يقل شيئاً عن الشرقية .

ووافق ستالين على هذا .

ومن ثمَّ نشأت عبارة « الأقطاب الثلاثة » فقلنا حينئذ إن هذا النظام هو تحالف ثلاثة ضد العالم كله لأنه فهم من نحو تلك الخطبة أن الكلمة النافذة في تلك الهيئة الغربية هي لهذه الدول الثلاث وأن للدول الصغرى رأياً استشارياً فقط . فما تقرره دول الأقطاب ينفذ .

ولما صدر ميثاق سان فرنسيسكو الأخير وفيه دستور « مجلس الأمن » ظهر أيضاً أن الرأي الأول الأعلى هو لهؤلاء الدول الثلاث . وأما سائر دول الاتحاد الدولي وعددها ٤٨ دولة فتعتبر ثانوية ورأيها ثانويا . وقد أضيف إلى الدول الثلاث الرسمية فرنسا والصين . وبهذه الإضافة سقط مشروع « الهيئة الدولية الشرقية » التي نوه بها تشرشل في خطبته المشار إليها . وكان يظن أن الصين تكون رئيسة هذه الهيئة الشرقية .

وقد ألحقت الصين وفرنسا بهذا المجلس كدولتين داعمتين كدول الأقطاب الثلاثة لا لأنهما دولتان كبريان فلابدَّ من أن يحسب حسابهما إذا اختلفت دولات الأقطاب فتعدلان الميزان — ليس لهذا السبب فقط ، بل لأن فرنسا المخلَّفة التي قوَّمتها انجلترا على قدميها ، وهي على أنف ألمانيا من جهة الغرب ، لازمة لكل من الدولتين روسيا وانجلترا اللتين تخشيان مناوءة ألمانيا لها إذا استطاعت أن تعود إلى المناوءة. ولهذا تجاذبها روسيا من ناحية وانجلترا من ناحية أخرى كل منهما تخطب ودها . فغريبٌ أن قوتين تتنافسان في الالتجاء إلى ضعيفة . فمن حسنات الخلاف القائم الآن بين الأقطاب أو من مساوئه أن الضعيفة استقوت وتدللت وعادت تشمخ بعد أن تمرَّغ أنفها في حمأة الذل والهوان .

وأما الصين فتتجاذبها دول الأقطار جميعاً لأنها المرعى الخصيب للاستثمار التجاري فلابدَّ من التملق لها . على أن النفوذ الأول والآخر لدول الأقطاب الثلاثة أولا وآخراً .

وكان من مناقضات الديموقراطية أو مفارقاتها في « مجلس الأمن الدولي » السانفرسيكي أن المجلس يرفض أية شكوى من أية دولة صغيرة أو ثانوية ضد دولة كبرى رئيسية إذا كانت واحدة من الدول القطبية ترفضها — هذا بحسب دستور المجلس المذكور .

وقيل إن سبب هذا الرفض المخالف للعدل والحق والديمقراطية أن الدولة الرافضة قد تطلب النزال إلى الميدان . فتحاشيا للجنوح إلى الحرب سنَّ هذا القانون الغريب العجيب . وهو موافقة الدول الكبرى للدولة الرافضة على الرفض حتما .

إذاً لا ينظر مجلس الأمن في شكوى دولة صغيرة من دولة كبرى بل ينظر فقط في شكوى صغيرة من صغيرة . والدولة الكبرى فوق القانون أو في حصانة القانون .

إذن فمجلس الأمن هذا هو مجلس تحكُّم الأقوياء بالضعفاء . هو محالفة ثلاثية قوية ضد جماعة من الدول الصغرى . ولا يؤمن ظلم هذا المجلس إلا إذا وقع خلاف شديد بين الأقطاب الثلاثة أو الأقطاب الخمسة . فأين الأمن الذي ينتمي له هذا المجلس القطبي العظيم ؟ وكيف يطمئن العالم إلى أمن دولي يترنَّح بخيطٍ واهٍ في الهواء ؟

إذا كان لمجلس الأمن شأن في فض مشاكل الدول فما معنى أن يجتمع الأقطاب الثلاثة الآن لكي يفضوا مشاكل الأمم الشرقية في طنجة ، والدردنيل ، وأردهان ، والبلقان ، وسوريا ، ولبنان ، وفلسطين الخ فضلا عن مشاكل أوروبا نفسها ؟ إذن ما هي وظيفة « مجلس الأمن » الذي يحسبونه أعظم نتاج لمؤتمر سان فرنسسكو إذا لم تكن من شأنه أن ينظر في هذه المشاكل ؟

نرى أن مصالح العالم كله أصبحت رهن قرارات مؤتمر الأقطاب الثلاثة . ومن يدري أن هذا المؤتمر الثلاثي لا يعقد كل حين بعد آخر لتسوية مشاكل الأمم ما دام أعضاؤه متفقين . فيكون أمره الأمر .

تطور بلاد العرب الشمالية (*)
و تأثير ذلك فى علاقاتهم الخارجية

الميجر ج . ب . كلوب
ترجمة الأستاذ جميل قبعين

أريد أن أقسم موضوع مقدار الرقى والتغير فى بلاد العرب الشمالية إلى قسمين : أولا بحث الموضوع من الوجهة الجغرافية ؛ ثانياً بحث قابلية سكان تلك الأقطار للرقى . وفى النهاية نستخرج خلاصة هذين القسمين فى نتيجة لتكون لنا فكرة عن المستقبل .

العوامل الجغرافية الخارجية

يجدر بنا عند بحث الوجهة الجغرافية أن نقسمها إلى فصلين : عوامل خارجية وأخرى داخلية . إن أول ما يلفت نظر الإنسان فى بحث أهمية الأقطار العربية فى السياسة الدولية من وجهة جغرافية خارجية هو كونها ممراً بين أوربا وآسيا . وإذا ما رجعنا إلى الوراء نجد أنه منذ بدء التاريخ لم توجد طريق بين الهند والشرق الأقصى وبين أوربا — طريق يمكنها أن تحتل بالفعل مكانة الطريق التى تمر من الأقطار العربية . ويرجع ذلك لكون بلاد فارس والأناضول تحتل جانباً من جانبى هذه الطريق، والسودان والحبشة والصحراء الكبرى تحتل الجانب الآخر . ونظرة إلى الأناضول وبلاد فارس ، وهما بلدان جبليان ، وإلى الحبشة والسودان والصحراء وهى بلاد صحراوية ، ترينا أنهما يشكلان حاجزين فى طريق الشرق وبينهما مصر وسوريا الطريق الوحيد للشرق . لقد حفرت قناة بين النيل وبين البحر الأحمر لتحمل التجارة منذ زمن الفراعنة . وعند قيام البتراء كانت البضائع تحمل على الجمال على طول الشاطئ الحجازى لتوزع على الإمبراطورية الرومانية ، كما نقلت التجارة على الفرات قاطعة بادية الشام إلى تدمر . وفى زمن النبى (صلعم) كانت لمكة أهميتها التجارية الخاصة إذ كانت

(*) محاضرة ألقاها الميجر ج . ب . كلوب فى تشاتام هاوس بلندن فى اجتماع ترأسه السير رونالد ستورس .

لسنا والله على أمل ورجاء فى الأمل والسلام إذا كان الأقطاب يضطرون أن يجتمعوا لكى يدبروا أمور الأمم حسبا يروق لهم وحسبا تقتضيه مصالحهم من غير اعتبار للمثل والحق . وقد صدر قانون مجلس الأمن باستهلال نذير بأنه ليس إلا ألعوبة سخرية أو مهزلة تمثيلية لأنه فى ساعة ما كانت فرنسا توقع على ميثاق الأمن والسلام كانت تغدر بسوريا وتنكل وتقطع فيها بلا حياء ولا خجل وهى عزلاء . فإذا كانت فاتحة نظام الأمن هكذا فأى مهزلة أقبح من هذه المهزلة ! وما قيمة هذا الميثاق إذا كان أحد أركانه وقطب من أقطابه يفتتح العمل به ، بهذا التمثيل والتقطيع .

وإذا كان مجلس الأمن يؤلف من خمسة أعضاء دائمين وستة ينتخبون بالتناوب ، وإذ كان فصل الخطاب للدائمين والطاعة العمياء للستة المتجددين ، فأين الديمقراطية وأى قضاء هذا ؟ وكيف يكون عادلا ؟ هل قضاته ملائكة فى السماء لا مطامع لهم على الأرض ؟

وما معنى أن يقتصر مؤتمر الأقطاب على الثلاثة فقط ولا يشمل الأقطاب الخمسة جميعاً ؟ هل العضوان الآخران « طرطوران » ؟ لم نخطئ فى قولنا أن مصالح العالم كله أصبحت فى أيدى ثلاثة رجال فقط وهو أمر من أغرب أمور التاريخ الجديد .

ترانا أمام عدة هيئات :

١ — الأقطاب الثلاثة .
٢ — الأقطاب الخمسة .
٣ — مجلس الأمن ذى الأقطاب الأحد عشر .
٤ — جمعية الدول العمومية ذات الـ ٥١ عضواً .

فبأى هذه الهيئات يتعلق مصير الأمم الصغرى يا ترى ؟ وأيها أحق بفض مشاكل الأمم وأصلح لها ؟

نرى أننا فى فوضى من الأنظمة الدولية المتضاربة المتناكسة المنذرة دائماً بالاضطراب العالمى . الأمن فى يدها تحت خطر .

أضف إلى ذلك خوف العالم من عقبى اختلاف الأقطاب . وهو شر نذير بالخطر المخيف . فإذا اختلفوا يحتدم الخطر ويقع القضاء والقدر . اللهم انقذنا من اقتداح الشرر ، حسبنا ما كان وما غبر .

فوزى الحداد

البضائع تحمل على الجمال وتقطع الحجاز إلى الأمبراطورية الرومانية ليستفيد الرومان منها دون الاضطرار إلى مرورها بالمناطق الفارسية. وقد حاول البرتغاليون في القرون الوسطى تأسيس مراكز تجارية في الخليج الفارسي والبحر الأحمر ثم في عدن — كما أن البريطانيين اتخذوا الفرات لتأسيس مصلحة مراكب تجارية تنحدر من سوريا الشمالية عليه. وفي هذه الفترة حفرت قناة السويس فعادت طريق التجارة إلى مصر. ومن الحرب الكبرى نرى أن سيارات الصحراء والمواصلات الجوية حولت قسما من التجارة إلى سورية وفلسطين والعراق. ولكن مهما تأرجحت طريق التجارة نجدها دائماً بين أيد عربية — مصر من جانب، وبلاد الرافدين (الجزيرة) من جانب آخر.

إن أهمية البلاد العربية لا تنحصر في كونها ممراً بين أوربا والشرق فحسب، بل لأنها أيضا الجسر البرى الوحيد إلى أفريقيا. ولقد مر كثير من الجيوش المغيرة عن طريق سورية ـ فلسطين ـ سينا إلى أفريقيا. لقد حاول الفراعنة احتلال سورية عن هذه الطريق، ومنها انحدر الاسكندر الكبير لاحتلال مصر، والرومان يوليوس قيصر — أوغستين مرا من هذه الطريق. ومنها خرج العرب إلى أفريقيا بعد قطع سينا وسار الصليبيون إلى مصر، كما أن حملة أخرى منهم نزلت مصر للسير منها إلى فلسطين. وقد هاجم نابليون مصر لفتح آسيا. وفي الحرب العالمية السابقة نرى كيف سار الأتراك لمهاجمة مصر، وكيف دخل الانكليز فلسطين عن طريق سينا. إن الأقطار التي نتحدث عنها حافظت على أهميتها الدولية السياسية أكثر من أي قطر آخر في العالم. لهذا يمكننا القول بأن أهمية هذه الأقطار ترجع لكونها الممر إلى الشرق الأقصى أولا، ولأنها الجسر البرى الوحيد لإفريقيا ثانياً.

العوامل الجغرافية الداخلية

إن جغرافية هذه الأقطار الداخلية لا تقل أهمية عن جغرافيتها الخارجية. وعندما أتكلم عن البلاد العربية الشمالية أعني (سورية وشرق الأردن وفلسطين والعراق. والنصف الشمالي من جزيرة العرب) فإذا ألقينا على خريطة هذه البلاد نظرة نجدها تشكل مثلثاً رأسه حلب ويخترق ضلع المثلث سورية وشرق الأردن وفلسطين وشمالي الحجاز، كما يخترق الضلع الآخر العراق حيث ينتهي برأس الخليج الفارسي، وتمتد قاعدته من البحرين حتى المدينة المنورة. أما قلبه فهو الصحراء. إن القسم الأهم من تاريخ هذه الأقطار يرتكز على هذا التكوين الجغرافي الخاص فضلا عن كون الصحراء فرقت هذه البلاد، فقد وضعت سورية والعراق على اتصال بالبلدان الخارجية (استعمل الآن كلمة سورية لأعني الأقطار المعروفة الآن بسورية وفلسطين وشرق الأردن)، وهذا ما جعل هذين القطرين عرضة للمؤثرات الخارجية، وبقيت حضارة نجد والحجاز — فقط — حضارة عربية محضة. وكانت نتيجة هذه الحضارات المتباعدة أن نرى الحجاز ونجدا عربيتين في حضارتهما، بينما نرى أن أوربا وبلاد فارس والأناضول ومصر قد أثرت على حضارتي جانبي المثلث الشماليين.

الهجرة من وسط الجزيرة العربية

بينما نجد بادية الشام التي تشكل قلب المثلث تكون حاجزاً في طرق المواصلات بين سوريا والعراق، نراها واسطة الاتصال والنقل لسكان نجد أو البلاد السعودية. وأن تلك البقعة الممتدة من الحجاز إلى الخليج الفارسي آهلة بقليل من السكان يعيشون على زراعة النخيل في واحات متفرقة، وهم على الأرجح ينتمون إلى شعوب ما قبل التاريخ. وبالرغم من معيشتهم في أراض زراعية نراهم يجوبون الصحراء ويقطعونها، وبالعكس نرى أن أهالي سوريا والعراق الذين يعيشون في مناطق مملوءة بالسكان لم تبق لهم حاجة لقطع الصحراء لاستقرارهم في البلدان التي يقطنونها. وهكذا نجد أن الصحراء التي تقف في طريق المواصلات بين سورية والعراق هي طريق المواصلة بين سكان قلب الجزيرة وبين الأقطار الشمالية، وهي بالنسبة لهم كالبحر بالنسبة إلى الشعوب البحرية.

توجد مقابلة شيقة بين بادية الشام وبين القسم الشرقي من البحر الأبيض المتوسط. توجد على شواطىء الجانب الشرقي من البحر الأبيض المتوسط موانىء تحمل كلها طابعاً مدنياً واحداً. فإذا سرت من الاسكندرية إلى حيفا فبيروت فأزمير فالقسطنطينية تجد شبهاً كبيراً بين هذه المدن؛ مع أن هناك بونا شاسعاً بينها وبين المدن الداخلية. إن مصر وبلاد العرب وتركيا واليونان

بلدان مختلفة ولكن تنورها متشابهة. كما أن العرب قطعوا الصحراء وأنشئوا مدناً هي عمان ودمشق وحماه وحلب، وهي تحمل المدنية والطابع العربي. ولذلك فإن الإنسان يقدر أن ينظر إلى بادية الشام كبحر يقابل البحر الأبيض المتوسط الذي تحمل تنوره مدنيته الخاصة، تقابلها مدنية عربية محضة على أطراف الثلث المحيط ببادية الشام أو الصحراء السورية.

الصحراء كحاجز حربي

إن هذه الصحراء التي رأيناها في بحثنا واسطة اتصال — نوعا ما — لسكان قلب الجزيرة العربية، نراها تقف حجر عثرة في سبيل الأعمال الحكومية أو العسكرية؛ فبينما نجد أن سوق جيش من الأناضول إلى سورية أو العراق سهل، نجد الصعوبة كلها في سوق جيش من قلب الجزيرة يقطع مئات الأميال من القفار. وإذا ما ألقينا نظرة إلى تاريخ سورية والعراق نجد أنها من بدء الميلاد حتى سنة ٦٥٠ للميلاد حكمها الرومان والفرس. ومع أن الهجرة الفردية من الجزيرة إلى هذين القطرين لم تنقطع فقد كانت تقوم صعوبات جمة في وجه أية حملة حربية يراد سوقها من الجزيرة إليهما. هذا فضلا عن سهولة الاحتفاظ بسوريا على الرومان من آسيا الوسطى، وبالعراق من إيران على الفرس.

لقد كان سكان تلك الأقطار عربا، وبالرغم من حكم الرومان والفرس فقد كانت ثقافتها عربية محضة؛ وقد قامت فيهما إمارات عربية صغيرة كأمارات الغساسنة في سوريا واللخميين على الفرات. إن ثقافة بلاد العرب كانت مستمدة من الجزيرة، وكانت القوة السياسية والحربية مستمدة من الأناضول وإيران. وهذا الموقف الذي لم يتغير أبداً يتلخص في أن العرب أقوياء بثقافتهم ضعاف بقوتهم الحربية، وهذا أمر يعزى أكثره إلى جغرافية الصحراء السورية

لقد غير الإسلام الوضعية، وذلك بتأثير الروح التي أثارها في العرب، فتمكنوا من التغلب على هذه الصعوبات وفتحوا سورية وإيران، ولكن لم تنقض فترة حتى ظهرت هذه الصعوبات مرة ثانية. لم يتمكن الخلفاء من البقاء طويلا في الحجاز واضطروا عند قيام الأمويين لنقل عاصمة ملكهم إلى دمشق، وعند قيام العباسيين الذين لم يرضوا ببقاء العاصمة في دمشق نقلت إلى بغداد[1] وهكذا نجد أن العرب عند ما كانوا حاكين على الثلث بأجمعه، وعند ما كان الإسلام في القمة عملها على مقاومة هذه الصعوبات الجغرافية، أي الصحراء التي تلتف البلدان العربية الهامة حولها

رأس حلب

عند سقوط الامبراطورية العربية وقيام الأتراك ظهرت حقيقة أخرى تتعلق بالثلث، وهي ما يمكننا أن نسميه «رأس حلب» إن جانبي الثلث (جانبي العراق وسورية) يلتقيان في حلب، فإذا ما أراد أحد هذين القطرين مساعدة الآخر وجب عليه قطع الممر الضيق المأهول بالسكان حول حلب، إذ لا طريق غيره — خلا طريق الصحراء — وبذلك نرى أن أي قوة حربية تنحدر من الأناضول إلى حلب يمكنها قطع خط المواصلة بين القطرين، أو أن أي قوة حربية يمكنها الدفاع عن حلب تقدر أن تقطع خط الرجعة على أي جيش يسير من سوريا إلى العراق وبالعكس. ومن المؤكد أن الهجوم على جانبي الثلث واحتلالها من قبل قوة تتمركز شمالي حلب، أسهل بكثير من سوق قوة من العراق إلى سورية أو بالعكس للدفاع عن أحد هذين الجانبين

وإذا لاحظنا أن الأتراك حكموا البلاد مدة تربو على ٤٠٠ سنة نرى أن الأثر الذي أبقوه وراءهم بسيط جدا؛ إذ لم يتمكنوا من التأثير على الثقافة العربية — وبالرغم من مرابطة الفيالق في أكثر المراكز الهامة، ومن وجود موظف أو موظفين كبيرين من الأتراك فقد كان أكثر الموظفين الصغار عربا وكانت أكثرية أهل البلاد يحكمهم الزعماء لا الحكومة؛ هذا عدا عن بقاء اللغة العربية اللغة المستعملة في البلاد. وهكذا نضطر أن نعود إلى معادلتنا الأولى وهي أن العرب ضعفاء بقوتهم الحربية أقوياء بثقافتهم.

أرجو إن صحتم لي أن أعدد نتائج العوامل الجغرافية التي وصلنا إليها مرتبة كما يلي

---

(١) أن نقل العاصمة إلى دمشق كان لسبب آخر وإن جاء موافقاً لما أورده المحاضر. لقد نقل معاوية العاصمة إلى دمشق لأنها كانت معقل الأمويين ومصدر دعوتهم؛ ونفس السبب دفع العباسيين لنقل مركز الدولة إلى بغداد. (المترجم).

العوامل الجغرافية الخارجية

١ — إن بلاد العرب تمر بين أوربا وآسيا يحيط به بلاد فارس والأناضول من جهة ، والصحراء الكبرى والسودان من جهة أخرى .

٢ — إن البلاد العربية هي الجسر البري الوحيد بين أفريقيا وبين بقية أقطار العالم الأخرى

٣ — إن بلاد العرب نقطة الاتصال بين ثلاث قارات ، وهي قلب العالم القديم

العوامل الجغرافية الداخلية

١ — إن بلاد العرب تكوّن مثلثاً تتوسطه بادية الشام

٢ — إن بادية الشام فرقت بين الأقطار العربية ، كما أن سورية والعراق اتصلتا بحكم مركزهما الجغرافي بالأناضول ومصر وإيران وأوروبا ، وهذا الاتصال جعل لهما ثقافة خاصة تختلف عن ثقافة قلب الجزيرة العربية

٣ — إن بادية الشام هي طريق الاتصال لسكان قلب الجزيرة العربية الذين ما زالوا على اتصال بالأقطار الشمالية ، والذين حافظوا على ثقافتهم العربية

٤ — بينما نجد بادية الشام واسطة نقل وبث للثقافة العربية نراها تقف حجر عثرة في سبيل الأعمال الحربية ، ولهذا نرى أن العرب وجدوا من الصعب حينما تولوا الحكم أن يحكموا سورية والعراق وقلب الجزيرة العربية من عاصمة واحدة

٥ — إن التقاء جانبي المثلث في رأس حلب يجعل أية قوة حربية في الأناضول قديرة على مهاجمة كل من سورية والعراق دون أن تتمكن إحداها من مساعدة الأخرى

قابلية العرب للرقي

إن بحثنا عن قابلية العرب للرقي أعمق وأصعب من بحثنا عن الموقع الجغرافي الذي يمكن تحديده إذا ما نظر الإنسان إلى الخريطة والتي يتلخص في سرد الحقائق . وتزداد الصعوبة على الأخص عند ما نرى أنفسنا مضطرين أن نخمن درجة قابلية العرب للرقي بالوقت الحاضر ، ودرجة استعدادهم وقابليتهم مستقبلا ، لأن كلا منا متأثر بعقائده ودراساته الخاصة ، وقد يكون متأثراً بدرجة قابليته بنفسه . وعلى كل حال فإذا لم أتمكن من إقناعكم بعقائدي فلعلي أتمكن من فتح باب للمناقشة بإعطائكم آراء جديدة . وقبل الدخول في بحث استعداد العرب للرقي علينا أن نعرف ونحدد الرقي . أظن أن الرجل الأوربي ينعت الرقي بالنجاح المادي ، وقد ينعته بالنجاح الفكري إذا ما طلب إليه تعريفه ، ولكن النجاح الفكري يتوقف على النجاح المادي الذي نتمكن بواسطته من تأسيس جامعات ومختبرات تساعد على تهذيب الإنسان ، ولذلك يمكننا في بادئ الأمر أن نعرّف الرقي بأنه القوة والثروة والاستقلال السياسي والمؤسسات الحكومية الأخرى كمصالح الصحة والمعارف والأشغال العامة الخ . ولهذا أرى أن أضع سؤالا في الصيغة التالية : « هل يمكن أن يصبح العرب القاطنون في البلاد العربية الشمالية ، وهل يريدون أن يكونوا في عداد الأمم الأوربية الحديثة ؟

الديانة

سنتناول في البحث عن هذه المسألة مظهراً أو مظهرين كلا على حده . أولهما : هل يؤمن المسلمون والمسيحيون حقاً بتعاليم أديانهم أم لا ؟ كلنا يعلم بطبيعة الحال أن أدياننا أثرت في حياتنا الاجتماعية وطرق معيشتنا ، ولذلك فإن العلاقات بين الإسلام والمسيحية تدخل في موضوع بحثنا . ولا أدري إن كنتم تعرفون أن الإسلام والمسيحية متقاربتان كل التقارب برغم ما قام بينهما من نزاع في الماضي . وهذه الحقيقة يؤكدها المسلمون أكثر من المسيحيين . ويعتبر المسلمون من زمن النبي (صلعم) إلى يومنا الحاضر أن المسيحيين أقرب إليهم أكثر من أتباع أي دين آخر . إن العقائد الروحية السامية المتشابهة بين الديانتين كثيرة ، فكلتاهما أسستا على اليهودية ، أو بالأحرى إن الإسلام أسس على اليهودية والمسيحية ، وكلا الإسلام والمسيحية خرجا من بلد واحد ولهما نفس الأنبياء . وكلاهما يعترف بالعهد القديم « التوراة » ، وقد حدثني قس مسيحي عمل في بلاد العرب سنين عديدة قائلا : إن الإسلام شكل من أشكال المسيحية باستثناء الاعتقاد بالعجائب ، وقد اتضح لي أن هنالك مظهراً آخر للتشابه بين الديانتين ، وهو

الأدب العربي في الهند

للأستاذ محمد يوسف البنوري

ربما يظن أن تقدم الهند في صناعة الأدب العربي والشعر ليس كتقدمهم في علوم الحديث والفلسفة ، والمنطق ، والرياضة ، والطب ، وما إلى ذلك من الفنون العقلية

حقيقة أن تقدمهم في كثير من العلوم العقلية القديمة قد أصبح منذ عهد قديم ، بحيث لا يبارى ولا يجارى ، وأضحت عبقريتهم في علوم الحديث مثلا في العهد الحديث منذ أوائل القرن العاشر للهجرة حين سرى الوهن في المجتمعات العلميـة الدينية في البـلاد العربية ، غير أن ميزتهم الأدبية وبراعتهم في الشعر العربي على رغم أن البلاد أعجمية قد خفيت على كثير من رجال الادب في البلاد العربية ، مع أن مآثر نهضتهم الراقية المزدهرة في خدمة اللغة العربية وتاريخ اللغـة العربية ، والأدب العربي لا تنكر ومقامهم فيها مشهود .

ومن العجيب أننا مهما حدثنا أحداً منهم بشيء عن رقيهم الحاضر في اللغة العربية والأدب العربي ، سمع ذلك وهو في حيرة مطبقة يكاد يسرع إلى الرد بالنفي لو لم تحل دونه رزانة العقل

وما من شك في أن العصبية القومية إذا حلت مكاناً رحلت عنه فكرة الوحدة الإسلامية . فإذا باتت آراء قوم مقصورة على مفاخر قومهم ولم تعد مطالعة مزاياهم الخاصة ، وعرتهم غفـلة أو غفوة من أن يقفوا على مزايا إخوانهم في البلاد ، انقطعت صلة الأخوة العالمية ، ورابطة الوحدة ، وتفككت عرى المواساة .

فكرة العروبة التي نشأت حديثاً في الأفكار ، وتتجلى بين حين وآخر على صفحات المجلات ، كما أنها تنتج فوائد خاصة ، تمنع كذلك من ناحية أخرى فوائد هامة بلاد العروبة أحوج إليها منهـا إلى تلك الفوائد الضئيلة أمامها ؛ فلا يستتب نظام عام بين الأمم الإسلامية المبثوثة في أنحاء البسيطة الذي جاء به سيدنا المرسل إلى كافة الناس عجمهم وعربهم صنرهم ويضهم عليه أزكى صلوات وتحيات مباركة . فمن الحتم اللازم أن يكون هناك نظام آخر يلوذ إلى كنفه وأحضانه سائر أقوام الأمة الإسلامية

إصرار كل من المسلمين والمسيحيين على ضرورة الإيمان بحوادث تاريخية معينة ، كما وإن لـكل من الديانتين شعائر وقواعد يجب إعادتها كل يوم ، ونحن قد اعتدنا هـذا المظهر من الإيمان في الدين ، حتى إنه لم يعد يخطر لنا ملاحظة أهمية ذلك بالنسبة إلى الإسلام والمسيحية .

أنا لست ثقة في البـوذية أو الـكنفوشية أو الهندوكية ، ولـكني أرى وأتصور أنهم لايتشددون في أهمية الإيمان ، كما يتشدد المسلمون والمسيحيون ، وأرى أن هذا المظهر الذي اتخذته الديانتان أوجد شبهاً كبيراً بين الأمتين

كثيراً ما نسمع أن الإسلام عائق لرقي العرب ، وبدون شك وجد كثير من المسلمين الذين اعتقدوا بأن الأرض منبسطة ، وبأن الاختراعات العلمية من عمل الشيطان ، ولـكن يجب لايغرب عن بالنا بأن كثيراً من المسيحيين اعتقدوا نفس الشيء ، وكانوا هم الذين أجبروا غاليلو على التراجع عند ما قال إن الأرض تدور حول الشمس . ومن الإنصاف أن أقرر أن الإسلام دين عملي أكثر من المسيحية من جهات عديدة — فالمسيحية هي التي نطقت بعدم جمع الثروة وفرضت حياة الرهبنة والتقشف ، ولذلك فإننا نجد قول المسيحيين بأن الإسلام دين غير عملي للأثرياء غريباً — وإذا نظرنا إلى مبادئه الأولية يظهر لنا أنه دين عملي أكثر من المسيحية ، لأن المسيح (عليه السلام) لم يتفق والبرم أبداً

المناخ

كثيراً ما يكون هواء البلاد وحالها الجوية مفتاحاً لمعرفة أخلاق السكان ، وإذا نظرنا إلى مناخ بلاد العرب نتحقق أنه لايمكن أن ينبت أمة خاملة . ولا مراء في أن مناخ الشواطئ الشرقية للبحر الأبيض المتوسط هو مناخ البحر الأبيض المتوسط ، ولـكن إذا ما تجاوزت الشواطئ إلى شرق لبنان والأردن تجد الجو بارداً جداً ، وبشاهد الثلج والصقيع بكثرة في أماكن عدة ، كما أن الجو غير رطب في الصيف ، فهو بالعكس يلتهب حرارة ، ومثل هذا المناخ يحتاج لأمزجة متينة وأجسام قوية لمقاومته

(البقية في العدد القادم)

جميل قبعين

على حد سواء ، حتى تمنح بلاد العروبة فوائد عظيمة وتنتظم قوى الأمة فى الأنحاء قاطبة ، فتصبح الأمم كأمة واحدة ، وتدعم أركانها بدعائم الأخوة الوطيدة كبنيان مرصوص لا يتزعزع بالقواصف الهوجاء والعواطف النكباء

ويكاد يكون عدم وقوفهم على الأدب العربى فى الهند أثرا من آثار هذه الفكرة أو مثلها . كنت أردت أن أكتب كلمة فى الموضوع هذا منذ نزلنا القاهرة من نصف عام ، بل أكثر ، ولكن حالت دونه الأمور التى لأجلها امتطينا صهوة الرحيل إلى مصر ، وكتبت شيئاً فى بعض المجلات والجرائد عن الحركة الدينية والنهضة السياسية فى الهند ، فوددت أن تكون رسالتى هذه إلى إخواننا المصريين وطلبة الأدب بموضوع مقالتى فى مجلة «الرسالة» الزهراء ، وقد أزفت ساعة تقويض خباء الإقامة ، فتكون مقالتى هذه فى الرسالة رسالة وداع ، والأمر كما قال النابغة :

أفد الترحل غير أن ركابنا لما تزل برحالنا وكأن قد

لست أريد فى هذه النهزة ذكر الأدباء والشعراء فى الهند ، أو سرد تآليفهم فى الأدب وتاريخ الأدب العربى وسمو مكانتهم فى التفكير الأدبى ، أو البحث عن شعر نوابغ الشعراء منهم ، والموازنة بين أشعار هؤلاء وهؤلاء فى هـذا الصدد ؛ فإن ذلك يستدعى نطاقاً أوسع مما عندى ، غير أنى أذكر شيئاً من شعر بعض علماء المعهد الدينى القديم فى الهند ، وأم المعاهد الدينية فيها (أريدبهادارالعلوم) بديوبند بالقرب من عاصمة الهند « دهلى » .

إن هذه الجامعة العربية الدينية ، كما أصبحت مثلا أعلى فى نهضة الدين والعلوم الشرعية ، كذلك أصبحت قدوة فى الحركة الأدبية وثقافة اللغة العربية ، فظلت بقعة ديوبند ، تلك الأربضة الطيبة ، مرتعاً خصباً لطلبة الأدب ، ونبغت فيها نوابغ الأدب وجهابذة اللغة ورجال الشعر . وكثير من السياحين الناطقين بالضاد والزائرين لهذا المعهد من علماء البلاد العربية ، لما نزلوا هناك شاهدوا للأدب فيه وجوهاً باسمة ، وطلعات وسيمة ، ورأوا فيه للشعر العربى ارتياحاً ، ولاقوا فى ترحيبهم نفحات ترق لها قلوب من قصائد عربية أنطقتهم بكلمات طيبة تبدى شعورهم وتأثر نفوسهم بتأثرات دقيقة نحو هذه النهضة

وأخيراً ، هذه البعثة الأزهرية قوبلت هناك بحفاوة واحتفال هز أعطافهم ، وقام خطيبهم رئيس البعثة ، فأثنى جميل الثناء على ما شاهد من نهضتهم وأبدى إحساسه العميق نحوهم على الرغم مما أبداه فى تقرير البعثة لمصالح سياسية أدركناها

هذا المعهد العظيم بلغ شعره ألوف الأبيات عالم من علمائه فى شتى نواحى الشعر ، وهو إمام العصر الأستاذ المحدث الشيخ محمد أنور الكشميرى رحمه الله . ومن الغريب أن هذه الناحية لم يتخذها كالا علمياً عكف عليه طول عمره ، أوعرف به ، لا بل مزيته هذه لا تعد مزية إلى ما خصه الله بجلائل النبل وآيات الفضل التى أصبح فيها نسيج وحده . ومع هذا له شعر بارع مطبوع عليه أبهة الشعر القديم بمتانة وفخامة مع انتقاء فصيح الكلمات بانسجام رائق ، مصوغ فى قالب بديع ، فترى له روعة وجمالا فى حسن السبك ، وصياغة الألفاظ ، وأبعد به عن ركاكة فى اللفظ ، أو سماجة فى التعبير ، أوتفكيك فى التركيب والنسق ، أو اختلال فى النظم والانسجام

نعم ، إن شعره ترى فيه بريقاً يتألق من الشعر القديم ، ولمعة من شعر المخضرمين ، وربما تبدو فيه آثار من كلام المولدين مع نظافة فى اللفظ وجزالة فى المعنى

أجل ، إنما الشعر لوعة فكر ، ولمعة خيال ؛ ولكل فكر منزع ، ولكل خيال مذاق ، وذلك أمر لا مندوحة عنه . ومن خصائص شعره أنه قلما تخلو قصيدة له عن عواطف حزينة تثير فى القلوب رقة ، كأن نفسه تذوب حسرات ، ولا بدع ، فكان عميق الشعور ، دقيق القلب ، ومن ثم نجد أكثر شعره وألطف شعره فى الرثاء والبكاء ، فكان كما قال شاعر النيل حافظ ابراهيم :

إذا تصفحت ديوانى لتقرأنى وجدت شعر المراثى نصف ديوانى

لا يتسع النطاق لذكر سائر النواحى من شعره إلا أنى أقدم هنا شيئاً من شعره فى الرثاء وغيره لتتم نفحاته للسكية على حديقته الزهراء . قال رحمه الله فى رثاء شيخه الإمام الأستاذ محمود حسن الديوبندى المعروف بشيخ الهند .

قفا نبك من ذكرى منازل فند معا
مصيفاً ومشتى ثم مرأى ومسمعا
قد احتفه الألطاف عطفاً وعطفة
وبورك فيه مربعاً ثم مربعا

إلى أن قال :

وكان حشا أذنى درّا وحكمة · فتخرج من عينىّ دمعاً مرهماً

وقال :

فوافيت دهراً ثم دهراً بعتبتى · والقيت عمراً ثم عمرا متمّما

وقال :

فلله درّ الحبّ حتى أقامنى

أقول وأحكى أن فى المض مطمعاً (١)

وقال :

وأذكر أيام المزار وأنثنى · على غصص فى القلب حتى تصدّعا

وقال :

يضيق نطاق فى المراثى لحقّها · وثمّ مجال كيفما شئت فاصنعا

وقال فى مطلع قصيدة عصماء له فى مديح رسولنا العربى الهاشمى عليه صلوات الله وسلامه :

برق تألق موهناً بالوادى · فاعتاد قلبى طائف الإنجاد (٢)

أسفاً على عهد الحمى وعهاده · تولى على الإبراق والإرعاد (٣)

رهم تناوح تارة ديم لها · حتى غدا الأيام كالأعياد

هب النسيم على الربى تتضاحكت · بشرى العميد عرارها والجادى

سنح الظباء فكاد يهلك مغرم · حور العيون وعطفة الأجياد

وأكاد أشرق بالدموع إذا بدا · هجر فتبكى الورق بالأسعاد

أسق التلول وأستحث ركائبى · وجدا على التأويب والإسآد

ومن شعره :

إمن عهد ربع طالما كان آنكا · أجبت بدمع حين حيا وسلما

ووجد تراه زورة بعد زورة · على غصص الأزمان نادى وأبرما

وقفت بها صحبى وجددت عهدهم · عسى إن عهداً ناء أن يتوسما

تهلل وجه الصبح يفتر ضاحكا · عن الثغر حتى كاد أن يتكلما

تباشير صبح أو تباشير مبسم · تنفس عن روح وبشر تنسما

وما ثم إلا من حديث قدعه · وتحديث أشجان ووجد تكلما

وربع فؤاد كاد مما أبثه · وأسقيه دمع العين أن يتبسّما

(١) المض حكاية صوت يراد بها الانكار ومع هذا لا يقطع به الطمع فى الاجابة ومن هنا يقال فى المثل « إن فى مض لطمعا » .

(٢) الموهن : نحو من نصف الليل الاعتياد : الانتياب . الطائف الخيال . الانجاد : الذهاب إلى نجد الجادى : الزعفران .

(٣) الرهمة : المطر الضعيف الدائم . العهاد : أول المطر « تولى » « من الولى » المطر بعد المطر . العميد : الحزين التأويب : سير النهار كله الإسآد سير الليل كله .

قفدت به قلبى وصبرى وحيلتى · ولم ألق إلا ريب دهر تصرّما

ومن عبرات العين ما لا أسيغه · ومن غلبات الوجد ما كان مبهما

ومن نفثات الصدر ما قد بثثته · ومن لجات الدهر ما قد تهجما

فأذكر أزمان الرفاق وأنثنى · على كبدى من خشية أن تحطما

تكفكف دمعى أو كففت عنانه · وصار بمجارى الدهر حتى تقدما

فهل ثم داع أو مجيب وجوده · يجاملنى شيئاً دنا أو ترحما

وأظن ، أن فى هـذا القدر الآن كفاية للبصير . وقد عزم « المجلس العلمى » بالهند أن يجمع كلام إمام العصر المرحوم ويرتب ديوانه ويطبعه نرجو الله له التوفيق .

ومن فحول شعراء هذا المعهد العظيم الشيخ حبيب الرحمن المرحوم مدير المعهد وله شعر رقيق اللفظ منسجم رائق جزيل المعنى . ومن العجيب أنه كان شديد الاشتغال بشئون المعهد الإدارية ولكن مع هذا له شعر غزير يربو على أربعة آلاف بيت فى غاية من اللطافة وحسن السبك ودقة النسيج وحلاوة اللفظ يكاد يظن أنه طول عمره كان عاكفاً على الشعر العربى ، ويمتاز شعره عن شعر إمام العصر المذكور بالرقة والانسجام ، وشعر إمام العصر يمتاز بالجزالة وفخامة الأسلوب ، وشعره أقرب إلى شعر المولدين ، كما أن شعر إمام العصر يشبه كلام المخضرمين . وأرى نفسى موفقاً فى الفرق بين شعرهما إن قلت إن الشيخ المدير كان بحترى عصره ، وإمام العصر فرزدق وقته . وديوان شعره مطبوع وإن لم تحل أشغالى دون مرامى عسى أن أنتهز فرصة وأقدم شيئاً من شعره لأخوان القاهرة والله الموفق .

محمد يوسف البنورى

الأستاذ بالجامعة الاسلامية بالهند . وعضو « المجلس العلمى » نزيل القاهرة



محرم الحكيم الاجتماعي

بمناسبة مرور الأربعين على وفاته

للأستاذ ابراهيم عبد اللطيف نعيم

هي سنة واحدة قضاها احمد محرم في المدرسة ، أو على الأدق في مدرستين : المقادين الابتدائية ، فمدرسة الجيزة بالقاهرة ، بعد أن تلقى مبادئ القراءة والكتابة في مكتب قرية الدلنجات من أعمال مديرية البحيرة وحفظ القرآن الكريم في الثانية عشرة من عمره .

وبعد هذه السنة جاءه أبوه التركي المرحوم حسن افندي عبدالله بطائفة من علماء الأزهر يدرسون له النحو والعروض وسائر علوم العربية ، وعكف من ثم على التراث الأدبي العربي في مختلف عصوره دارساً وحافظاً . هذه هي دراسة الشاعر الأولى ، أو هذه هي مدرسته الأولى التي هيأته للشعر يقوله ... ومنها انتقل إلى المدرسة الأخرى ، مدرسة الحياة الكبرى التي كونته حكيماً اجتماعياً إلى أن انتقل إلى العالم الباقي ...

وللحكمة في قيثارة الشاعر وتر واحد ، عن هذا الوتر تصدر الحكمة والاجتماعيات في نغمة واحدة أو في أنغام مختلفة ... سهمان ينطلقان إلى هدف واحد ، هو تعمق الحكيم وشمول نظره ، وما يكون المرء اجتماعياً إلا لأنه حكيم ، وما يكون حكيما إلا لأنه اجتماعي .

وفي المدرسة الكبرى ، مدرسة الحياة راح الشاعر — من جديد — يدرس ويتعلم بالكثير من راحته ، وسكون نفسه واطمئنان باله ، وينفذ وراء بصره إلى أعمق ما تعرض الحياة من قضايا ، وما تكن زوايا البشر من خبايا ... كانت هذه الدراسة ، وهي قطعة من حياته ، أو هي حياته كلها — تأملاً ، وشعوراً يستحيل عند فيضانه إلى تعبير جلي قوي تتمشى الحرارة في ثناياه ، وتنبض الروح بين طواياه ...

وكان جل ما تعرض عليه الحياة ، تحت شجرة إلى جانب مقهاه الأثير في دمنهور أمام المحكمة الأهلية ، حسبه منها ، ومن الحياة ، أن تفيء عليه ظلها ساعات في الصباح ، ومثلها في المساء .

لم يكن يحتمل جو المقهى إلا ريثما يأخذ الصحف والبريد بنظرة خاطفة ، يهتز بعدها من الضيق فيحمل كرسيه ويطلب إلى الانتقال إلى « شجرة العرش » باسما !

وننتقل إلى ظلال « شجرة العرش » لتراجع النفس فيما سمعنا ورأينا وعلمنا ، ثم لتسكت ، أنا في شاني ، وهو في تأمله الهادئ العميق .

وكثيراً ما كنت أستحضر فكرة ما — في موضوع الساعة ، لأحدثه بها ، فأتعقب ما لا أرى ببصري في الأرض وفي السماء . فكان يهز رأسه ويقول : قيد ما يحضرك . فإنه يفرها ساكنة ، حتى تطلبها فتجدها في مكانها « مقيدة » !

ورغم ذلك فقد كان رحمه الله على قوة في الإرادة ، ونفاذ في البصر ، ويقظة في الشعور ، إلى درجة ترغ نفسه من العمل بهذه النصيحة ، فكان أبدا على ثقة من العثور على « الفكرة » أو قل من « اصطيادها » ، أسمن وأغنى بما كانت حين سنحت له وخلاها ...

في ظل هذه « الشجرة » وهي كالمرصد للفلكي ، والمعمل للكيمائي ، جعل الشاعر « يصطاد » عناصر حكمته الاجتماعية ، ويتأمل في هذا النبع الفياض ، من نفسه ومن الحياة ويشعر به شعوراً قوياً جياشاً ، ثم يسوق تأمله وشعوره في حكمة هي الشعر ، وفي شعر هو الحكمة ، فيتقدم على كثير من الشعراء — أمام الناس جميعاً ، حكيماً اجتماعياً يضع أصبعه على أخطر الأدواء ، ويصف بالساحر من بيانه أنجع الدواء ...

وما أريد أن أعود بالقراء إلى يومه الأول لأعرض عليهم فنون حكمته فيه ، فلذلك مكانه من الكتاب إن شاء الله . وإنما أريد أن أعرض عليهم أبياتاً من قصيدة حديثه ، هي قصيدة المصر ، أو هي آلامه وآماله . .

وسبب هذه القصيدة — ومعذرة إلى القراء — مناظرة على صفحات « البلاغ » الأغر في حياة صاحبها المغفور له عبد القادر حمزة باشا عليه رحمات الله ورضوانه — بيني وبين صديقي الأستاذ محمد السرادى في « العبقرى ، في الثراء ، والزواج ، والحب » من هو العبقرى ، وما شأنه ؟ قلت يومئذ إنه رجل طليق ، في الثراء والزواج والحب والحياة كلها ... أو أنه بشر فوق البشر ...

ورمى الشاعر ببصره فماذا وجد ؟ وجد الوسط الأدبي في مصر يزخر بطوائف من المخبولين والممرورين والحالمين ... هذا يستنشق الأثير ، وثان يكرع الخمر الرخيص ، وثالث يتعاطى الأفيون ، ورابع يدخن الحشيش، وخامس يتمرغ في أوحال الرذيلة ، وسادس وسابع - باسم العبقرية ، أو وراء «أشباح العبقرية» كما يسميها جورج دهامل يجرى كل هؤلاء المرضى والضعفاء . ولم يقل أحد إن العبقرية صحة ، وصحيح — كما يقول الدافع عن الأدب — أن هذه السموم تولد عند آلاف البؤساء شعوراً ذاتياً بالعبقرية ، ولكنها لم تهب العالم البشرى كتاباً واحداً ممتازاً .

العبقرية تصيح كل يوم : « رباه ! رباه ! ... لم تركتني وحيداً » ! ؟

هذا هو العبقرى فى رأى جورج دهامل الأديب الفرنسى ، وهذا هو أسلوبه ، فانظر إلى العبقرى فى رأى شاعرنا الحكيم المصرى ، وهذا هو بيانه :

يقول القوم هذا عبقرى — وذاك مثقف وأقول : واها !
عيوب العبقرية من قضاها — وآثام الثقافة من جناها ؟
وهذا النور كيف تراه عيني — ظلاماً يسلب الدنيا سناها ؟

بهذا البيان نفى حكيمنا الاجتماعى احمد محرم ، من العبقرى والمثقف ما يحاول الجهل أو الخبل أن يلصقه بهما من عيوب وآثام ...

ولم يقف عند هذا الحد ، فنظر إلى الشعوب ماضياً وحاضراً ومستقبلا نظرة هذه ترجمتها فى الحكمة شعراً :

أرى ملك الشعوب يقوم فيها — على أخلاقها ، وعلى نُهاها

ولنمض مع الشاعر إلى ما مضى إليه ... هى فكرة قرنها إلى فكر ، وحقيقة صارخة تصيدها فقيدها بحقائق أخرى . قال :

رأيت نساءكم غلبت عليكم — فأمسى الخزى قد وسم الجباها
عجبت لذى الحليلة راودته — عن الشرف الرفيع ، فما عصاها
وللأب مال بابنته هواها — عن السَّنن السوىّ فما نهاها

إهابة جازع على أول وأهم ركن فى المجتمع ... وأى خير فى الأسرة إذا كان هذا حالها ، أو إذا انتهت إلى هذه الحال ؟ ولماذا لا ينعى دولة الرجال فيقول مقرراً فى أسف وألم لا يحس بهما غير الرجال :

وما عند الرجال قضاء أمر — إذا قضت النساء على لحاها

وماذا بعد هذا مما يرضاه الحكيم الاجتماعى ؟ لا شىء إلا أن يقول :

برئت إلى المروءة من بلاد — تبلد شيخها ، وغوى فتاها

ولكن هذا هو الداء ، فما هو الدواء ؟ هو أن :

أعيدوا الدين سيرته وشدّوا — عرى الأخلاق إذ وهنت عراها
وردوا بالزواجر كل غاد — إذا وضحت له السبل أباها

فبهذه الوسائل مع الدين ، أو فى الدين تعاد إلى الرجل دولته ، وتحل المرأة فى محلها ، ويساق الأبناء إلى الجادة فى أثرها ...

ولكن كيف ذلك وهو يقول ولا ينكر عليه أحد ما يقول :

لبئس القوم ما حفظوا كتاباً — ولا عرفوا رسولا أو إلها

ولم يكن يقصد مصر وحدها ، فالعروبة كلها قصده ، وهذا العالم الإسلامى الترامى هو — كقصيدته — مجال آلامه وآماله ... لذلك يتساءل بعد هذا كله ولكل جوابه عليه :

وما تبغى العروبة من شعوب — إذا ذكرت لشاعرها بكاها ؟

***

هذا هو « محرم الحكيم الاجتماعى » فى أبيات من الشعر ، و« لشاعر العروبة » قصة ألمية ، محيرة ، فى ديوانه « مجد الإسلام » نرجو أن نقدمها إلى الرأى العام فى فرصة أخرى إن شاء الله .

(دمنهور) ابراهيم عبد اللطيف نعيم

هذا العالم المتغير

للأستاذ فوزى الشتوى

أعصابك ولماذا تثور ؟

كيف تنشأ إحساساتنا المختلفة من حب وحقد وغضب أو قلق واضطراب ؟ كل هذه الإحساسات منشأها تكوين المخ، ففى وسطه فص صغير فى حجم البندقة اسمها السلامى . وهى قديمة جداً فى تركيب أجهزتنا العصبية ورثناها فيما ورثنا عن أجدادنا الأول الذين كانوا يعيشون بشريعة الغاب .

ويقابل السلامى فى المخ ويحاول السيطرة على إحساساتها قشرة رفيعة تغطى المخ وفصوص صغيرة موزعة خلف الجبهة ، وهذان الجهازان حديثان فى التركيب العصبي للانسان . وبهما نفكر ونتنبأ ونتغلب على إحساسات السلامى التى وهبتنا إياها الطبيعة فى بدء الخليقة لتكون بمثابة جرس الإنذار ينبهنا إلى الخطر أو الجوع .

والسلامى دائمة الطلبات فهى تدعوك دائما إلى الإقبال على الخمر والميسر أو ما يطابق طبيعة الغاب الأولى من تخلص من القيود ؛ فإذ طلبت السلامى كأس خمر تصدت لها قشرة المخ وفصوص الجبهة قائلة حذار فإنك تعرف أن الخمر منكر وأنك تفقد وعيك وترتكب أعمالا شائنة إن سكرت .

وإن أغلق الباب بعنف وأنت فى ظلام الليل الرهيب صرخت السلامى « عفريت قادم لقتلك » ، فتجيبها الأخريان : « كلا ... إن هذا إلا ريح عاصف » وهكذا دواليك ؛ فالسلامى تدفعك إلى عالم الخيال والخزعبلات ، بينما قشرة المخ وفصوص الجبهة تعيدك إلى عالم الحقيقة والمنطق .

ويقول العلماء إن الموسيقى تخفف من حدة السلامى وتهدىء إحساساتها ؛ ولهذا فإن الأنشودة العاطفية تثير فينا إحساسات الحب والصداقة بينما الأنغام العسكرية القوية تثير فينا الشجاعة والتضحية . وهذه الإحساسات تظل مسيطرة إلى أن يعيدها إلى الواقع شيء من منطق القشرة وفصوص الجبهة .

دراسة تربة النيل

تجرى كلية العلوم بإشراف بعض إخصائيها دراسة تفصيلية لتربة قاع نهر النيل وشواطئه ، واستلزم الحصول على عينات من النهر سفر الدكتور رشدى سعيد فى باخرة خاصة مسافة عشرة آلاف ميل إلى أعالى النيل حصل منها على ٤٠٠ عينة من مختلف أنحائه ، واستغرقت الرحلة ٤٥ يوماً

والطريقة التى اتبعها هى الحصول على عينة من قاع النهر بأدوات خاصة ، ثم عينة أخرى من الشاطئ . وفى المناطق الهامة كان يأخذ عينة كل خمسة كيلومترات ، وبالأخص كلما تغير شكل التربة .

والغرض الأساسى من هذا البحث معرفة الزمن الذى فيه اتصل نهر النيل بمنابعه فى أعالى السودان ، فإن علماء الجيولوجيا يقولون : إن منابع النيل فى أوغندا والسودان كانت منفصلة عن النهر ، ولعوامل جيولوجية خاصة التى المجرى القبل من الحبشة بزميلة القبل من السودان

وتفرع عن هذا البحث دراسة أخرى ، فإن إحدى شركات الأراضى الكبيرة فى الصعيد المصرى تملك قطعة أرض مساحتها عشرون ألف فدان . لوحظ أن مستوى الماء فى باطنها يرتفع ويفسد الزرع ، وأجرت الشركة عدة مشروعات لتصريف المياه ، فلم توفق، وظلت الأرض تفقد حيويتها حتى قدرت الخسارة فى السنوات الأخيرة بمائة ألف جنيه

واستعانت الشركة بأحد الإخصائيين ولكنه امتنع عن إبداء رأيه حتى يحصل على دراسة تفصيلية لتكوين هذه الأرض الجيولوجى .

سيشمل إجراء هذه الدراسة والغرض منها معرفة خير الوسائل لتصريف الماء من باطن الأرض . وهل هذه المياه متسربة من النيل أو من مياه الأمطار أو الآبار ؟

وستحلل عينات الأرض والنهر لمعرفة تركيبها الكيماوى وصلة الواحدة منها بالأخرى . وينتظر أن يكون لهذه الدراسة بجوار أهميتها العلمية فائدة عملية لأنها تؤدى إلى تحسين الزراعة ووسائلها .

ديدان الأرض تضاعف منتجاتها

عرف داروين منذ قرن مضى أن ديدان الأرض تقويها على إنتاج المحاصيل الزراعية . وقد تيسر أخيراً استخدام هذه الديدان في تقليب التربة . وينتظر باحثو هذا الموضوع أن يتضاعف محصول الأرض من مرة إلى ثلاث مرات .

وقد وجدوا بالتجارب أن القدم المربع يحتاج تقليبه إلى عشرة ديدان أي أن الفدان يحتاج إلى مليون دودة تقلب من أرضه ما يقدر بمائتي طن من التربة الجافة التي تساعد على تهوية جذور النبات . وهي تضيف إلى فائدة التهوية فائدتين أخريين ، لأن تأكل الجذور الميتة كما تبتلع البقايا النباتية والحيوانيـة المختلفة تعطى الأرض كمية طيبة من السماد العضوي بما تفرزه في الأرض من بقاياها مما يغذي النبات ويزيد نموه .

ويقول الدكتور توماس بارت إن الفلاح يستطيع الحصول على عدد وفير من هذه الديدان بتوليدها . وليبدأ أولا بوضعها في صندوق صغير ، فعندما تبيض الدودة يستمر بيضها من ١٤ يوماً إلى ٢١ ثم يفرخ وهذه الأفراخ بدورها تبيض في فترة تتراوح بين ٦٠ و ٩٠ يوماً .

ويقول هذا الأخصائي في الديدان الأرضية أن تزويد الأرض بها يفيد صاحبها فوائد جزيلة . وقد اهتم بعض التجار في الريف بهذا الديدان وجعلوها من المواد التجارية التي تباع وتشترى مثل ديدان القز .

ذكاء طفلك وموعد حمله

أثبتت الاختبارات التي أجراها بعض العلمـاء أن النظرية القائلة أن الأطفال الذين يتم بهم الحمل أثناء فصول الشتاء أكثر ذكاء ممن تم بهم الحمل في فصول الصيف .

وفي مدينة باث اختار العلماء ٣٣٦٩ طفلا من طلبة المدارس وأجروا عليهم تجارب الذكاء وفحصوا أحوالهم فوجدوا أيضاً أن الأطفال الذين يتم بهم الحمل في الشتاء أقل أخوة أو أخوات من الذين يتم حملهم في فصل الصيف .

وكتب الدكتور فريزر روبرت مدير مصلحة الأبحاث الطبية في المجلة الطبية البريطانية فقال إن الأبحاث أثبتت أن الوالدين الأكثر ذكاء أكثر ميلا إلى الحمل أثناء فصول الشتاء ، وأن الوالدين الأقل ذكاء أكثر ميلا إلى الحمل أثناء فصول الصيف .

أحدث أنباء العلوم والمخترعات

قد لا ينتهي هذا العام ، حتى تنتهي هـذه الحرب ، ويبدأ العالم ثورته الاجتماعية والاقتصادية ، ويقفزنا تقدم العلوم والمخترعات إلى بيئات جديدة ، ويفتح لنا مجاهل لم تطرق من قبل

وهدف هذا الباب من « الرسالة » اطلاع القارئ العربي على آخر أنباء تقدم العلوم والمخترعات التي نجزم على ضوء ما عرفناه عنها أننا مقبلون — بعد الحرب — على عالم جديد يختلف كل الاختلاف عن العالم الذي عرفناه

والعالم العربي بحكم مركزه الجغرافي يربط ثلاث قارات تعتبر من أهم مراكز النشاط في العالم كله ، فجدير بالعالم العربي أن يدرك الانقلاب المقبل ويستعد له

سيارة بدون سائق

يستطيع سائقوا السـيارات إذ انتشر الطراز الجديد من السيارات الأمريكية أن يتركوا سياراتهم تسير وهم نيام في الطرق القليلة الزحام . فإن أحد المخترعين تمكن من تجهيز السيارات بآلة كهربائية تسيطر على عجلة القيادة

وهذه الآلة عبارة عن عينين كهربائيتين تصحح وضع السيارة إذا انحرفت عن الخط الأبيض الذي يرسم عادة في منتصف الطريق ، فإن أراد السائق التخلص من سيطرة هذا الجهاز في الطرق المزدحمة فإنه يضغط على زر صغير أمامه ليسير سيارته كما يريد

عصا تعقب ملكة النحل

اخترع أحد مهندسي محطة الإذاعة البريطانية عصا سحرية يسهل بها العثور على ملكة النحل ، ولو كانت مختفية بين ٥٠ ألف نحلة ، كما اخترع أيضاً جهازاً يعرف به أن خلية نحل على وشك التمرد وهجر مسكنها ، فيقودهم إلى خلية أخرى

وسر هذين الجهازين مادة خاصة كثيرة النشاط يصبغ بها ظهر الملكة فترسل إشعاعاً غير منظور ، فإن أردت العثور على ملكة النحل وإخراجها من جموعه قربت العصا المجهزة بأدوات كهربائية خاصة من جموع النحل ، حتى تسمع صوتاً قوياً يرشدك إلى مكانها ، فإن أرادت الملكة هجر الخلية تحركت من مكانها ، فتسمع أجراس الإنذار المعدة لذلك

فوزي الشتوي



١٢ ـ الفن

للكاتب الفرنسي بول جزيل

بقلم الدكتور محمد بهجت

عن الأمس وعن اليوم (تابع)

« وعلى ذلك ذهبت عنده وعملت منه عدة دراسات سريعة بالقلم الرصاص ليسهل على عمل التمثال فيما بعد . ثم أحضرت منصتي وشيئاً من الصلصال . ولما كان من عادة الشاعر أن يجلس في البهو مع أصدقائه كان من الطبيعي ألا أجد مكاناً سوى الشرفة أضع فيه تلك الأدوات القذرة . وإنك لتستطيع أن تدرك صعوبة واجبي . كنت أدرس الشاعر العظيم في انتباه كبير وأحاول أن أطبع شخصه في ذاكرتي ثم أجرى فجأة إلى الشرفة لأطبع في الطين ما لاحظته والتقطته ذاكرتي من هنيهة . ولكن كثيراً ما كانت تخبو ذاكرتي وأنا في طريقي إلى الشرفة . فإذا ما وقفت أمام المنصة لم أجد في نفسي القوة على لمس الطين . وكان يتحتم على أن أقفل راجعاً إلى مثالي مرة أخرى . » وعند ما قاربت النهاية من عملي سألني دالو (Dalou) أن أقدمه إلى فكتورهوجو : فأجبته إلى ذلك في حينه . ولم يعش الرجل العظيم الهِمّ بعد ذلك كثيراً. وما استطاع دالو أن يبلغ غايته إلا من صبيبة أخذت للشاعر بعد موته » .

قادني رودان وهو يتكلم إلى ظرف من الزجاج بداخله قطعة واحدة من الحجر . إنه الحجر الأوسط من عقد ، الحجر الذي يضعه المهندس وسط العقد ليدعم به منحناه . نحت على واجهته قناع مربع من ناحية الخدين والصدغين ، متمشياً في ذلك مع شكل الحجر المربع . رأيت ثمت وجه فيكتور هوجو . وعند ذلك قال المثال الكبير : « كثيراً ما أتخيل مثل هذا الحجر يتوسط بناء يوهب للشعر »

وكان من السهل على أن أتخيل ذلك . فإن جبين فكتورهوجو وهو يدعم في ذلك الوضع حنية تذكارية فكأنما يرمز بذلك إلى العبقرية التي ارتكزت عليها آراء وجهود عصر بأكمله . ثم عاود رودان حديثه قائلا :

إني لأعطى هذه الفكرة أي مهندس يستطيع أن يخرجها إلى حيز التنفيذ » .

وقريبا منا قام التمثال النصفي لهنري روشفور ، وهو معروف تمام المعرفة ؛ فرأسه رأس ثائر تعلوه خصله شعثاء من الشعر تموج كأنها شارة التسليم ، وبجبينه غضون كثيرة كأنه جبين طفل مشاغب ، دائم الشجار مع أترابه ، له ثغر قلصته السخرية ، ولحية نافرة صاخبة . إنه ثورة لا تهدأ ، وروح النقد والكفاح بينهما . إنه قطعة فنية رائعة نستطيع أن نرى فيها ناحية من نواحي ذهنيتنا المعاصرة . وهنا قال رودان :

« وكانت معرفتي بهنري رشفور عن طريق بازير أيضا ، فقد كان رئيساً لتحرير الجريدة التي يعمل بها . ورضي هذا المناظر الشهير أن يجلس إلي . كان ذا روح مرحة حتى ليحس المرء منه السحر عندما يصغي إليه وهو يتكلم . ولكنه ما كان يستطيع الجلوس ساكنا لحظة واحدة . وكان يؤنبني في رفق لأني أنصرف بكليتي إلى مهنتي ؛ حتى لقد قال لي مرة وهو يضحك إني قضيت جلسة بأكملها في إضافة قطعة من الطين إلى التمثال ، وجلسة أخرى في رفعها عنه .

« وفيما بعد ، عندما رأى أن تمثاله حظي بإطراء ذوي الذوق الرفيع وثنائهم جاراهم في ذلك الإطراء غير متحفظ ، ولكنه ما كان يعتقد أن تمثاله ظل على حاله الأولى من ساعة أن حملته من منزله ، وكان يكرر وصيد على هذه العبارة : « لقد أعملت يدك فيه كثيراً . هذبته تهذيباً . وحقيقة الواقع أني لم أمسسه حتى بظفري » .

وعند ذلك أخفى رودان خصلة الشعر بإحدى كفيه واللحية بكفه الأخرى ثم سألني عما يمكن أن يشبهه إذ ذاك » . فقلت :

« تستطيع أن تقول عنه إنه قيصر من قياصرة الروم »

« هذا ما أردتك أن تقوله تماماً ، إذ أني لم أستطع أن أجد الطراز اللاتيني القديم نقياً خالصاً كما وجدته في روشفور » .

وإذا لم يدر عدو الامبراطورية الألد للآن وجود تشابه بين وجهه ووجه القياصرة ، فإني أراهن أن مجرد علمه بذلك سيميته على الابتسام

وعند ما تكلم رودان من لحظة عن دالو ، صورت في مخيلتي تمثاله الذي صنعه لتلك المثال والمودع الآن بمتحف اللوكسمبورج إنه رأس متكبر عات يقوم على رقبة رفيعة معروقة كأنها رقبة طفل . له لحية كثة كأنها لحية صانع ماهر ، وجبهة مغضنة متجهمة ، وحاجبان أشعثان كأنهما حاجبا شيوعي قديم ، وهيأة متكبرة محمومة ترى فيها الديمقراطي الذي لا يحول . أما العينان الكبيرتان والتقعر البسيط الذي بالصدغين ، فتنم كلها عن الشغف العظيم بالجمال

سألته عن هذا التمثال فأجابني بأنه عمله عند ما عاد دالو من انجلترا بعد أن شمله العفو السياسي وقال :

« إنه لم يأخذه قط ، لأن علاقتنا انصرمت من بعد أن قدمته لفيكتور هوجو بقليل .

كان دالو فناناً عظيما ، ولكثير من أعماله قيمة زخرفية رائعة تجعلها من أجل مجموعات القرن السابع عشر . ولو لم تتملكه شهوة الحصول على وظيفة حكومية لكان كل ما أنتجه قطعاً خالدة ؛ ولكنه جهد ليكون لوبران جمهوريتنا ، وليكون زعيما لكل فنانينا المعاصرين . لقد مات قبل أن تتحقق أمنيته ؟

« إنه ليستحيل على المرء أن يمتهن مهنتين في وقت واحد . فكل الجهد الذي بذله لكسب أنصار وأعوان يركن إليهم ، وفي محاولته أن يكون ذا شأن وخطر — كان كل هذا خسارة للفن . ليس أصحاب الدسائس أغراراً مغفلين ؛ فعند ما يريد الفنان مناهضتهم أو يهز معهم بدلوهم فإن عليه أن يكيد لهم بقدر ما يكيدون ، وبذلك لا يبقى له وقت ينصرف فيه لعمله .

« ومن يدري فلو كان دالو لزم مرسمه دواماً ومضى في سبيل فنه هادئاً وادعاً لأنتج روائع يخطف جمالها الأبصار ، ولربما أجلسه الإعجاب العام على عرش الفن وتوجه ملكاً على الفنانين — وذلك هو الذي بذل في سبيله كل ما في وسعه لتحقيقه ، ولكن في غير طائل .

ومع كل ذلك لم يذهب طموحه سدى ؛ لأن نفوذه وحظوته في الأوتيل دي فيل[1] كانا سبباً في إخراج قطعة خالدة من أعظم قطع عصرنا الحاضر . فهو الذي مكن بوفي دي شافان من أن ينال الإذن بزخرفة جانبي السلم بمدخل الأوتيل دي فيل ، وذلك رغم مناهضة أعضاء اللجنة الإدارية مناهضة علنية وأنت تعرف بأي شعر ساوى أشياء المصور المظيم حوائط البلدية » .

وقد استرعت هذه الكلمات انتباهي إلى تمثال بوفي دي شافان Buvis de Chavannes الذي قال عنه رودان :

« لقد رفع رأسه عالياً . أما جمجمته فصلبة مستديرة وكأنما خلقت لتلبس خوذة . وأما صدره المقوس فيظهر كأنه اعتاد لبس الدروع . ولقد يسهل على المرء أن يتصوره في باقيا[2] يحارب ذياداً عن شرفه إلى جانب فرنسيس الأول » .

ترى في التمثال أرستقراطية شعب قديم . فالجبهة والحاجبان المرتفعان تدل على الفيلسوف . وتشف النظرة الهادئة التي تشمل أفقاً كبيراً بعيداً عن ذلك الزخرف العظيم والمصور الطللي[3] السامي . هذا ولا يوجد فنان معاصر يكن له رودان من التقدير والإعجاب بقدر ما يكنه لمصور القديسة جنيفيف . ثم صاح رودان :

« أ كان هذا الرجل يعيش بيننا ويخالطنا ، أ كان هذا العبقري الخليق بأزهى عصور الفن يتكلم معنا ! وإنني شاهدته ووضعت يدي في يده ! ليخيل إلي أنني صافحت يد نيقولا بوسان Nicholas Poussin[4] »

(يتبع) دكتور محمد بهجت

قسم البساتين

(١) دار البلدية بباريس

(٢) بلدة بمقاطعة لمبارديا بشمال إيطاليا .

(٣) الطلل الحسن للمعجب من كل شيء كالمنظر والماء ونحوه وقد استعملت هذه الكلمة لتؤدي معنى الكلمة الانجليزية landscape والفرنسية paysage . فإذا أقرها اللغويون كان بها وإلا فنحن في مسيس الحاجة إلى كلة خاصة تؤدي هذا المعنى .

(٤) مصور فرنسي عظيم ولد في سنة ١٥٩٤ وتوفي سنة ١٦٦٠

على الشاطئ . . .

للأستاذ مصطفى علي عبد الرحمن

أي سحر يفيض من ناظريك حبس الفكر والفؤاد عليك
روعة تسلب العقول هداها فتذيب القلوب في عينيك
ملأ الشط فتنة وحياة رائع اللمح من سنا وجنتيك
وأشاع الضياء والبشر نور من شعاع الخلود في شفتيك
عالم أنت من فتون وسحر لهفات القلوب جُنَّت لديك
قد حسدت الرمال تحنو عليك وحسدت النسيم يهفو إليك
وحسدت المياه والموج يسعى يقبل الشط لاثماً قدميك
عبد الحسن فيك قلبي وعيني أحرام أن ترحمي عابديك
آه لو تصدق الأماني يوماً والأماني عصيها في يديك

مصطفى علي عبد الرحمن

الظـــلام* . . .

للأستاذ أحمد مخيمر

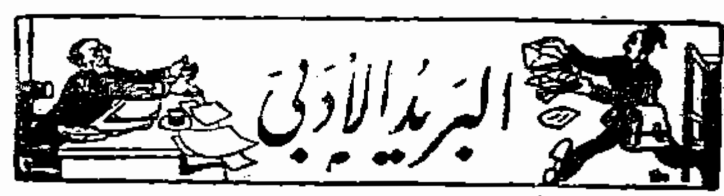
الظلام المظلم يهبط في بطـ ـء، ويلقي عصاه فوق الروابي
زاحفاً للوهاد كاليم ما جـــف بدفق ولا انطوى بانسكاب
الذرى فيه مغرقات تبدى بعد حين في وحشة واكتئاب
كسهام إلى السموات تعلو وقفت في الهواء دون السحاب
ما لها كلما نظرت إليها أنذرتني برحلة واغتراب ؟
أترى لست بالغريب... ونفسي شردتها خطوبها في اليباب
لم تجد في الأنام خلا فلاذت بقلال الربا، وشم الهضاب
يا لها من حمامة ذات حسن هجرت عشها لوكر العقاب !
وحياتي سيا للأسى في يد الأقــدار كنز تسوقه للتراب
إنما الموت كان أجمل لولا ماطوى القلب من رفيع الرغاب

أنا يقظان كالنجوم، عميق كالظلام العميق، رحب الجناب
تتمشى بي السكينة كالجد ول زحفاً بين الغصون الرطاب
وتغنى بكل قلـــبي أشوا ق بلحن مزمجر صخاب
جائشات جميعها بفؤادي جيشة الموج واصطخاب العباب
ليس إلا الظلام تسكن فيه الـــروح مما تحس من أوصاب
فيه ترقى إلى معارج حب لم تنلها قبلي يد الأحباب
تكشف الحسن والحقيقة والغيـــب وتسرى وحيدة في الشعاب
وتلبي النـــداء تحمله الريـــح، لناي الرعاة بين الغاب
جلسوا القرفصاء حول لهيب الـــنار يشدون في حنين عجاب
ويبثون للظلام أقاصيـ ص، طوتها سريرة الأحقاب
وحفيف الظلام والريح والنا ب رهيب ينساب أي انسياب
يترك الجالسين في شبه حلم وحنين خاف إلى الغياب
ويطيل السكون فيهم إلى النا ر ورقص اللهيب رقص السراب
يقلبون اللظى بعود، وفيهم تقلب الروح ذكريات الشباب
والقطيع الوديع يغفو في النا ب نديا من ناضر الأعشاب
مصغياً للرعاة، ذهلان، تبدو في محياه نشوة الطراب
ساهماً كالغريق في ذكر المر عى مطلاً في هدأة واكتئاب
ناظراً في الظلام للأفق النا ئي وللكلب في طريق الذئاب

إيه يا ليل لو دعيت نجائي حين يسرى ولو رثيت لما بي
أنا في هـــذه الحياة غريب ووحيد الأشواق بين الصحاب
غربة ما يزال دمعي منها في جفوني مرقرقاً لانسراب
وأماني في الضلوع صبيا ت إلى الورد عاريات الإهاب
خافقات وما خفقن بريب هاتفات وما هتفن بعاب
دائرات يلذن من طول ما ذقـــن من الشوق لانسكاب الشراب
بذراعين خشنتين سأصـــمد للنبع في الصخور الصلاب
إنما النبع في القلال فمن يســغ يجده وراء ألف حجاب
ثم يخطو إليـه ألف سبيل حين يخطو محفوفة بالصعاب
إيه يا ليل كل سر سرى فيــك مطل بعينه لاقترابي
قد حملت الأجيال يا ليل فاحمل هتفات الأجيال في محرابي
وافتح اليوم شاطئيك لقلبي إن كل الحياة بين ثيابي . . . !

أحمد مخيمر

(*) هذا هو النشيد العاشر من كتاب « أحلام نبي » المعد للطبع وهو قصة في أناشيد متسلسلة وضعت على لسان نبي من الأنبياء .



من وحي المرأة

أخي صدق ...

... إنك لتعلم رأيي في دموعك هذه التي نظمتها قصائد . تعلمه من هذه الانفعالات التي كنت أحاول أن أخفيها عنك فتظهر ، وأنت تسمعني هذه القصائد قبل نشرها فأسمع ، وأنا أحس أنك تعيش في أثناء قراءتها وتتألم !

ولقد كنت أستزيدك منها كلما هممت أن تطوي أوراقك الحبيبة في صدرك ، وأنت تضمها إليك ضمة الحب والأسى ، ربما ترود عيناك دمعة ندّت ، فلم تشأ أن تطلقها على سجيتها ، لأننا لسنا وحيدين ، بل حولنا الناس في المقهى أو في الطريق !

كنت أشفق عليك أن تقرأها ، وكنت أستزيدك من قراءتها ... لأني أعلم — وقد جربت من قبل تجربة شبيهة بتجربتك في الأم الصديقة — أن هذا الألم النبيل الكريم الذي تحسه وأنت تستعيد هذه الصور العزيزة ، هو ألم كذلك عزيز مريح !

والألم النبيل الكريم يا صديقي نادر في هذه الدنيا الحافلة بشتى الآلام ! وما أحوج الإنسانية إلى مثل هذا الألم بين الحين والحين ، يطهرها وينقيها ، ويرفعها من ثقلة الأرض ، ويطلقها ترفرف في السماء

ولكن الذين يعرفون مثل هذا الألم ويقدرونه نادرون مثله في هذا الوجود . وأنت الذي تقول في صدق مفجع حزين :

كأنيَ بالأحزان غيّرنَ طابعي وأن بوجهي ما تُجنّ أضالعي
ظلال جحيم من دخان ولاعج وأشباح تعذيب دوامٍ دوامع
وإلا فما للناس يجتنبونني وقد كنت منشوداً بتلك المجامع؟
وإني لألقاهم كعهدي مرحباً وأبسط كفي في سلام مسارع!
أفرّج ما بين الشفاه تبسما ! وأدعو أساريري وأجلو مطالعي!
وأضحك أحياناً وأظهر ناجذي ! وآخذ في أسمار غِرٍّ وخالع !
فما لهم لا يطمئنون ؟ ما لهم ؟ وغيري عالٍ مُسمِع ذو قعاقع
أبشريَ غير البشر في عين ناظر !
أضحكيَ غير الضحك في سمع سامع ؟
أجل صدقوا ، مذ مُتِّ يا سرّ فرحتي
طُبعتُ كتمثالٍ على الحزن فاجع

أجل يا صديقي ، لأن الناس في هذا الزمان يريدون أن يضحكوا دائماً ، ويا ليتهم يعرفون كيف يضحكون !

أما أنا فلست بناصح لك أيها الصديق — كما لم أنصح لك في فورة الألم — أن تتسلى . فما أرخص السلوى في الحياة ، وما أعز الألم الصادق النبيل ؟ وما أفدح الخسارة حين نمسي ونصبح ، فإذا أيدينا خالية من هذا الألم الذي يربطنا بأعز أحبابنا ، ويصلنا بذلك الماضي الذي لن يعود

وإنني لأقرأ ثم أقرأ في احترام بالغ قصيدتك « تساؤل » :

أتبلغني هـذي الحياة على حزني
فأصبح مثلوج الحشى ضاحك السن ؟
أيأتي زمان تخطرين بخاطري فلا يسبق الدمع المتون إلى عيني؟
أيجري لساني باسمك الحلو صادحاً مبيناً فلا يلوي إليه ولا يكني؟
وقد كان في حلق يجف ويلتوي
ويهمس مبحوح الصدى مجهش اللحن !
أيحلو لطرفي أن يطالع صورة
لحسنك من بعد الفجيعة في الحسن ؟
وقد كنت أخفيها وكانت بناظري
إذا عرضوا عفوا — كغاشية الدجن
أيخلو مكان من خيالك ماثلا
بكل مكان — أينما سرتُ — أو أكن
ويطغى على نفسي شعور وفكرة
ولم تشركيني في شعوري وفي ظني ؟
ويشغلني شيء ولو بعض ساعة فلا أنت في قلبي ولا أنت في ذهني؟
نشدت زماناً يورث الناس سلوة ليكفيني برد السلو ويحتاني
بديلي منك الحزن لم يبق غيره فلا حبذا السلوان غبناً على غبن
وإني لأستحييك إن غب مدمعي وأحزن يوماً إن غلبت على حزني

إنك لغني يا صديقي بهذا الكنز من الألم الرفيع النبيل ، فكن أميناً عليه ، فمثله نادر في هذا الوجود ! سيد قطب

كلمة هادئة - إسكان أواخر الكلمات

ألمّ ابن خلدون في مقدمته الشاملة إلى اقتراح إسكان أواخر الكلمات تخلصاً من حركات الإعراب فقال : (ولعلنا لو اعتنينا بهذا اللسان العربي لهذا العهد — عهد ابن خلدون — واستقرينا أحكامه نعتاض من الحركات الإعرابية في دلالتها بأمور أخرى) .

وقال أيضاً : (ولم يفقد منها — أي من لغة مصر مقارنة بلغة

عهد ابن خلدون — إلا دلالة الحركات على تعيين الفاعل من المفعول فاعتاضوا منها بالتقديم والتأخير وبقرائن) . ومن الملاحظ أنه لم يشرح شيئاً من « الأمور الأخرى » فى قوله الأول ولا شيئاً من « القرائن » فى قوله الثانى بحيث لا يمكننا أن نستنبط منهما وسيلة تنفيذية إلا التقديم والتأخير أى تقديم الفاعل وتأخير المفعول مثلا للتمييز بينهما وأظن أنها وسيلة غير كافية لأن اللغة ليست قاصرة على حالتى الفاعلية والمفعولية وليست قاصرة على حركتى الرفع والنصب وليس حتما أن تشتمل الجملة على اسمين اثنين لا غير

مع هذا لا يزال ينادى بهـذا الاقتراح الطريف باحثون معاصـرون يرون فى اللغات الأوروبية المسكنة الأواخر برهاناً تطبيقياً نافذاً .

والذى يخيل إلى أنهم لم يبحثوا الموضوع على الأقل من الناحية الشكلية التى يبدو فيها خلاف كبير بين اللغة العربية واللغات الأوروبية يستعصى معه إتباع هذا الاقتراح .

فأولا : صلب اللفظ العربى يحتاج إلى ضبط كامل لا يفيد معه إسكان الآخر لأنه يتكون من حروف ظاهرة فى الـكتابة وحروف أخرى تظهر فى النطق . ولا زلت أذكر قصة لأحد الظرفاء إذ شاهد مع بعض ضيوفه من الريف حيواناً عجيباً فى حديقة الحيوان فسألوه ما هذا ؟ فحار فى قراءة كلة (الببر) على قفصه لا لجهله بحركة آخرها طبعاً بل لجهله بحركات سائر الحروف .

وثانياً : استقلال اللفظ . فنجد أن اللفظ فى اللغة الأوروبية منفصل قائم بذاته فى كل معانيه بينما هو فى العربية خاضع لغيره أو متصل به . فنحن نقول : كتابهما — كتابهم — كتابهن ... فأين الحرف الذى يسكن ؟ الأخير أصلا أم الأخير رسماً ؟ اللفظ الأصيل ! كتاب وآخره الباء لحينما أسند إلى غيره تغير آخره بالاندماج فيه . بينما الإنجليز مثلا يقولون : Their book لهذه الحالات الثلاث . ولست بصدد القول بأن أساليب التعبير عندنا أدق وأوفى وهذا ربح لا يهون بجانب تسهيل النطق عندهم .

وثالثاً : حركة الآخر ليست خاضعة لاتصال اللفظ بغيره اتصالا مباشراً فحسب بل أيضاً تخضع للاتصال غير المباشر بالألفاظ المجاورة . فإسكان الأواخر يكثر من « التقاء الساكنين » أو تعذر النطق لتعاقب حركتين .. فإذا تعمدنا الوقوف عند كل كلة قطعنا فى النطق تقطيعاً مضحكا مرهقاً وإذا استرسلنا بغير ضوابط خرجنا على القاعدة خروجاً همجياً ، وإذا اعتمدنا على التقديم والتأخير أخفقنا فى الجمل المتشابهة الـكلمات والجمل التى تتكرر فيها كلمات معينة .

ورابعاً : كثير من الألفاظ ساكن ما قبل الآخر . فإسكان الآخر أيضاً ثقيل جداً . وهو بالغ الثقل عند ما نصل مثل هذه الألفاظ بألفاظ ساكنة الأول أو طبيعة الأول على الأصح .

وخامساً : بعض الألفاظ مبنى على حركة تدل دون غيرها على معنى خاص . مثل : أنتَ — أنتِ فإسكان (أنت) يحرمنا من فهم المعنى إلا بالسياق والإطناب حيث يغنى الإيجاز .

إلى غير ذلك من الأحوال الخاصة بطبيعة لغتنا وحدها .

والعجيب أن اللغات التى تلائم طبيعتها قاعدة إسكان الآخر قد تجنح إلى أدوات شاذة لتعذر إطرادها . مثل إقحام حروف غريبة لا تمت إلى الأصول والأصلاب بصلة ما كالحرف T فى il — T — ya أى : (هل هناك ...؟) والجواب : il ya بلا وجود للحرف T الذى وجد لتحاشى التعقيد بالتخلص من تعاقب a ، i . ولا أعرف لذلك ضريباً إلا فى لغة بعض قبائل النوبيين فهم يقولون مثلا : (إنَّرْكِ اكِّرى) (إنّر : طعام — اكرى : هات — الـكاف : زائدة لهذا الغرض . وللنوبيين عذرهم فى لغة لا تـكتب ولا تطرد لها قواعد مدونة .

وعلى العموم فإن إسكان الآخر عامل من عوامل إضعاف اللغات . حتى الأوروبية بدليل الاختلاف بين سماعها وقراءتها إلى حدما . فمعظم حروف الآخر فيها صامتة مثل : beaux — perp. وسيؤدى ذلك مستقبلا إلى ضمورها كما أدى تمهيداً إلى انقطاع الصلة بين المكتوب والمنطوق . لذلك يلتزم بعض الفقهاء فى فن القراءات ضرورة الاتكاء على الحرف الأخير فى حالة السكون بالقلقلة والغن والتنوين حتى لا يعتريه ضمور أو إبهام أو إضغام .

وهب أننا سنهتدى إلى قواعد للغة المقترحة فلا بد من بذل مجهود ضخم فى تعليم العامى أن كلة (مستأبل) خطأ وأن صوابها (مستقبل) بإسكان الآخر وأنها تقدم فى حالة الرفع وتؤخر فى النصب . بمثل هذا المجهود تقريباً يمكن تعليمه أن الصواب (مستقبلٌ) ، (مستقبلا) . والفرق بين المجهودين بسيط لأن القواعد التى تسرى على كلة واحدة تسرى على أشباهها جميعاً .

وليس الإعراب بهذه الوعورة التى تنتهى بنا إلى القنوط . والذين لا تحتمل عقولهم بعض القيود المادية كالإعراب لا يرجى أن تحتمل آراء وعلوماً وفنوناً .

عبد الفتاح البارودى



ابن ...

الأستاذ لبيب السعيد

كان ذلك فى مطالع شبابى غب تخرجى فى مدرسة التجارة ، حين آثر أبى أن ينشئ لى متجراً ، وكان هو وجدى وقتئذ يرعيان تجارتى الناشئة ، ويقضيان من الساعات ، يوجهان العمال ، ويشاركان فى استقبال الحرفاء ، ويثيران لى فى كل مناسبة طريق الجديدة . وكنت يومئذ شديد الرغبة فى النجاح ، فكنت أستدفع الضجر ، وأطامن من اعتزازى بآرائى ، وأتقبل توجيهات أبى وجدى راجياً أن أتنور على هديهما مقصدى

وكان أبى لا ينفك يوصينى بألا أبيع بالنسيئة أبداً ، ويقول لى : يا بنى ! خير لك أن تبقى بضاعتك أمام عينيك من أن تعطيها الناس ثم تظل فى انتظار ثمنها يدفع أو لا يدفع . وكنت أعرف ما جرته النسيئة على أبى من متاعب ، فبدا لى أن أتخذ وصاته مبدأ أساسياً لمتجرى لا أنحرف عنه

ووقفت عصر يوم بجانب مكتبى النصف دائرى ، وأنا جذلان بنظام محلى ووفرة محتوياته وبشائر النجاح بادية فى إقبال الحرفاء ورضاهم ... وقفت أقبض أثمان المبيعات ، وأوجه للعمال أمراً بعد أمر ، وأنطلق بين لحظة وأخرى مع مرسلات الأمانى . وفيما أنا كذلك ، إذ أقبل علىّ شيخ حطمه الشلل يتحامل على عصا غليظة ، وعليه ملابس بلدية موشكة على البلى وإن تكن فاخرة الصنف ، وفى صحبته طفل فى نحو الخامسة يلبس جلباباً قصيراً خفيفاً ، ويحمل وجهه سمات حزن لا يكون فى أمثاله

وقال الشيخ فى لهجة عزيزة ومنكسرة معاً : « أعطنى يابنى عشر أقات دقيقاً » ، فهتفت حالا بالعامل القريب : « زِن لحضرته ما يطلب وخذ منه ثلاثين قرشاً » ؛ وأجاب الرجل وهو يتكلف الابتسام : « بل زن المطلوب ويكتب علىّ ثمنه » ، فما أسرع ما اندفعت قائلا فى تصميم قاطع : « مستحيل هنا » ؛ وابتسم الرجل ابتسامة واهنة ، وقال وهو يتلفت كأنه يتحرى ألا يسمعه أحد : « بل ليس مستحيلا ، ولا تمنع عمك أحمد الناجى ما يطلب ، لا ضاعتك الأيام » ، ولكنى نظرت إليه نظرة لا رفق فيها ، وقلت كأنى أستعجله مغادرة المتجر : « مستحيل جداً يا عمى ، وبالله دعنا فى شغلنا »

ونظر الشيخ إلىّ ثم إلى طفله نظرات المغضب المغلوب المتحسر فكدت لفرط ما تأثرت بهذه النظرات أستجيب لطلبته لولا أن ذكرت أن الأمر أمر مبدأ ، وإنى إن بذرت اليوم للنسيئة حبة فسأبذر غيرها غداً ، وإذن فسأجنى الثمرة المرة التى جناها أبى ، والتى حذرنى منها تحذيرا . واستدار الرجل فى صعوبة وهو يتكئ ببدنه كله على عصاه ، وجر رجليه جراً إلى الطريق ، ومعه طفله الذى كان يحكى هزاله وحقارة ملبسه حكاية البؤس مؤثرة وجيعة

ونزل جدى فى هذا الوقت من عربته يصلح وضع مطرفه ، ويلقى السلام على جيران المحل ، وما بصر بالشيخ حتى وقف يصافحه بحرارة مبادلا إياه تحيات أيدتهما لى كشقيقين على صفاء ومحبة ، وأسرعت فقدمت لجدى كرسياً ، ولكنه قدمه إلى الشيخ فى اهتمام وهو يقول : « أيها الأخ ! إنى سائل عنك ، قلبى معك» ونادى صبياً يعمل فى المتجر أن يحضر قهوة للشيخ . وإذ رأيت عواطف جدى نحو الشيخ تولانى خجل شديد لما فعلت معه ، ولكن تولانى أيضاً خوف من أن أورط فى هذه المشى الأ...

وتحدث جدى مع الشيخ لحظات فى صوت خفيض ، فما لبث جدى أن صاح بى فى لهجة ناهرة : « أهكذا يا محمد تفعل مع الشيخ ؟ ! زن له عشرين أقة » وصدعت بالأمر كارهاً !

أمر جدى أحد العمال بنقل الدقيق إلى بيت الشيخ الذى ... البشر صفحته ، والذى قال وهو قائم يخطو إلى الشارع : « أكتب عندك ستين قرشاً على أحمد الناجى » ؛ وانطلق متحاملا على نفسه وأنا أتبعه بنظراتى غضبان أسفاً لكسر مبدئى التجارى ، وأهمس لعامل قريب معرضاً بجدى : « شيوخ طيبون ، يصدقون كل شئ ، ويدخل الاحتيال عليهم »

وقعد جدى يردد أدعية بالستر الجميل له ولذريته ، ثم قال مسمعاً إياى والأسف ظاهر فى وجهه : « إنها الدنيا ! الشيخ أحمد الناجى تعوزه أقات من الدقيق ! الشيخ الناجى الذى كان يتصدق بالقمح أرادب ! قضاء الله ! ضاعت أمواله الضخمة ، وأصابه الكبر والشلل ، وتخطف الموت امرأته وهو أحوج ما يكون إليها ، وله كما رأيت طفل ضعيف تعوزه التربية ! »

وجعل جدى يحرك قبضة عصاه فى شبه حركة عصبية ، وهو يبدئ ويعيد فى الحديث عن صديقه الشيخ مظهراً غضبه منى إذ لم

أسارع إلى تنفيس ضائقته ، ولم أقدم إليه من الاحترام ما هو كفاء منزلته وعرلقته

وجاءنى أبى مساء ، فحدثته بالذى كان ، وكأنما كنت أريد أن أقول له : أنظر ما ذا فعل أبوك ! فكان يضحك للهجتى ، ولكن وجهه كان ينم عن تأثره لمأساة الشيخ الناجى ، ومضى يحكيها لى مفصلة وهو يحوقل ويسترجع ، على أنه ما لبث أن قالها بينة صريحة : « ومع ذلك فلا تعط أحداً بعدها شيئاً بالنسيئة »

ومرت أيام ، فجاء الشيخ الناجى بوجه فيه الأسى ، وكمهدى به اتخذ من عصاه رجلا بعد رجل ، وتكلف لى ابتسامة جاءت خجلى متكشة وقال : لا تضق بى يا بنى ، إن لى إليك رجاء يسيراً ... أتأذن بقرش حلاوة لهذا الصغير ؟ (مشيراً إلى ولده).

وعض الحزن على قلبى للطفل الشاخص ببصره إلى الحلاوة ، واستحييت لكرامة جدى ، فأسرعت بنفسى وقدمت إلى الطفل قطعة من الحلاوة ، ثم التفت إلى الشيخ أسأله مجاملا : ثم ماذا ؟ فأجاب : « لا شيء ، جعلك الله من السعداء »

وجلس على كرسى وأمارات التعب الساغب عليه ، واحتضن ولده فى حنان وأسف وهو يقول له بنبرة حزينة : يابنى المسكين ! تأكل مما يقترض أبوك ؟ !

وسمعت عاملين يتهامسان بما ينقض عوز الشيخ ، وبأنه يقول ما يقول ليسرق عطفى . ولينى على كل شك ، فهمت نفسى بتصديقهما لولا أن ذكرت تفاصيل ما قصه على أبى وجدى

ومضى الشيخ يجرجسمه وطفله . وانقضت أشهر وأنا لا أراه حتى كان يوم وردت فيه جنازة إلى المسجد القريب من المتجر ليصلى عليها ، ووقف المشيعون ينتظرونها عن كثب من المحل ؛ وقال قائل : يرحم الله الشيخ أحمد الناجى ! وقال آخر : ياما أحرز! فقال ثالث : وياما أضاع !

وسعى أمامى الركب الذى لا يعود صاحبه ، وأنا أتمتم فى غير اكتراث كبير : « الله يرحمه ... ويعوض على ما فى ذمته ! »

وغبرت سبع سنين ورد فيها جدى حياض المنون ، ولم يفسح بعده لأبى فى رحاب العمر ، بل عاجله الأجل الصارم ، وتحلبت على أموالنا أشداق الطامعين من الأقارب والأباعد ، حتى ليخيل إلىّ أن لو كنا نؤكل ما عفوا ولا شبعوا .

وكنت رشيد إخوتى فألقيت على كتفى أثقال الأسرة . وكان أفدح هذه الأثقال أن أسترد ما لأبى وأقضى ما عليه . لقد كان أبى يكره أن يستدين أو يدين؛ ولكن التجارة أركبته رغمه هذا المركب

واتصلت بالمدينين فهالنى الأمر . هنا معدم يقول : كان يودى ... ؛ وهذا منكر يقول : أمامك الحاكم ... ؛ وهنا مخاتل كتب أملاكه لزوجه فراراً من العدل . فأما الموسر ذو التقوى فيريد أن يدفع المائة الجنيه عشرين . فأما الدائنون ، فقد حسروا لنا اللثام عن بطش وكيد . فإنذاراتهم ما تنفد وعنتهم ما ينتهى .

ودخلت المحاكم فكم أموال أنا فى حاجة إليها أخذتها منى ، وكم قال لى المحامون : هات .

وأدركنى اليأس من طهارة الذمم ، ووعى خراب الضمائر ، وثقلت على وطأة الحياة ، وأصبحت لا أتبين فى غمرات المظالم طريقاً

وقعدت يوماً فى متجرى أرسل فكرى فى ظلمات الأحداث المحدقة ، وأنى متوجعاً على المحيط الذى أنا فيه خلوه من رجل يستوحى الضمير ويقدر الشرف ، وأدير عينى فى مكان أبى وجدى فلا أراهما ، وغشينى هم أذهلنى عما حولى فترة ، فما نبهنى غير صوت غلام فى نحو الثانية عشرة يلبس جلباباً قذراً وطاقية رخيصة ويحمل علبة صفيح صدئة يقول لى وهو يمد يده إلى بالعلبة : ياعمى محمد ! خذ حقك واحداً وستين قرشاً . قلت مستغرباً : أى حق يابنى ؟ قال : حقك ... ثمن الدقيق الذى اشتراه أبى أحمد الناجى ، وثمن الحلاوة الطحينية التى أعطيتنيها .

وغمرتنى الدهشة ، فقد طوى النسيان صاحبه منذ سنين على احمد الناجى ، ولكنى سرعان ما ذكرته . ذكرت لهجته ، وذكرت فقره ، وذكرت جدى وأبى وما قالا فى شأنه وما فعلا ، وذكرت الدقيق والحلاوة ، وذكرت قوله لابنه وهو يحتضنه فى حنان وأسف : يا بنى المسكين ... تأكل مما يقترض أبوك .

ذكرت هذا كله ، وتفكرت فيما أرى من الغلام ، فهزنى هذا التصرف الكبير منه ، وكأنى أمام حادثة من خيال الشعراء ، وقلت جاداً : خل هذا المبلغ لك يا بنى ؛ فأجاب فى تمرد وقد اربد وجهه : أتريد أن يدخل أبى النار ؟ ... لقد قال لى وهو فى أشد التعب قبل أن تصرخ عمتى بأنه مات بوقت قصير ، قال لى : يا علىّ ! إذا أراد الله لك أن تشب وتجتاز السنين وتكسب شيئاً فلا تنس أن تسدد ثمن الدقيق والحلاوة . وما دمت كبرت واشتغلت فى مصنع السجاد بخمسة قروش فى اليوم فلا بد أن أقضى دين أبى ليدخل الجنة ...

وأشرق وجه الغلام وهو يضع النقود على مكتبى فى عزم وإصرار ، وابتسم ثغره ثم مضى فى قوة شامخة . **لبيب السعيد**



الترجمة وأثرها في النهضة الفكرية

[تصدير معالى الأستاذ مصطفى عبد الرازق باشا لكتاب « المدخل لدراسة الفلسفة الاسلامية » ترجمة الأستاذ محمد يوسف موسى ، وسيظهر هذا الأسبوع]

لقد كانت الترجمة — وما تزال — دعامة من دعائم النهضات الفكرية والثقافية للشعوب ، وبالترجمة بدأت النهضة الثقافية فى عصور الإسلام الأولى ؛ إذ أدرك الخلفاء المسلمون حاجة الأمم إلى استتمام غذائها الفكرى من كل سبيل ، فتدفقت إلى النهر العربى وديان من مختلف الثقافات العالمية ، وظهر من بينها هذا اللون العربى الإسلامى على خير ما يكون الاستواء .

وعند ما نهضت أوربا من سباتها ، ونفضت الكرى عن عيونها ، رأت أن أقوم وسيلة لانتعاشها أن تنحو نحو الترجمة ، فاندفع الناقلون يترجمون أمهات الكتب اللاتينية واليونانية ، وتناولت أيديهم وأقلامهم كذلك أصول الكتب العربية التى عملت على ازدهار الثقافة الأوربية الحديثة .

وحين أسفر فجر هذه النهضة المصرية ، وأدرك رجل مصر الحديثة رأس الأسرة المالكة محمد على باشا ، ما للترجمة من أثر فعال فى إنعاش البلاد وإحيائها ، هداه نظره الثاقب إلى إرسال البعوث العلمية إلى أوربا ، لنقل معارف الأوربيين وثقافتهم إلى مصر باللغة العربية ، فأرسل ثلاثة بعوث علمية فى أزمنة مختلفة ، كونت ثلاث طبقات من العلماء والأطباء والضباط والمهندسين ، فنقلوا إلى العربية مئات من الكتب فى العلوم والمعارف المختلفة . ولقد كان لذلك — بلا ريب — أثره الملموس فى اللغة العربية والثقافة العربية .

ومما هو قمين بالذكر أن كل المدد الذى استمده محمد على باشا لتلك البعوث لم يكن إلا من الأزهر ، تلك الجامعة التى نشرت النور والمعرفة فى أرجاء العالم الشرقى . وكان من أظهر هؤلاء الأزهريين وأبعدهم صوتاً ، المرحوم رفاعة بك الطهطاوى ، الذى عهد إليه برياسة الطلبة المبعوثين إلى باريس ، فقام بهذه المهمة خير قيام ، واتصل فى فرنسا برجلين عظيمين هما المسيو جومار[1] والبارون ده ساسى[2] ، فأفاد من صحبتهما خيراً كثيراً ، واستقدمه محمد على إلى مصر فى سنة ١٢٤٦ هـ وعينه مترجماً فى مدرسة طرة ، ثم وكل إليه إدارة مدرسة الألسن ووضع نظام لها ؛ وكان لتلك المدرسة فضل فى نبوغ جماعة من فحول المترجمين .

وكان المرحوم رفاعة بك بطبعه ميالاً إلى الترجمة ، فعرب مدة إقامته بباريس وبعد رجوعه منها كثيراً من الكتب والرسائل ؛ منها تعريب قانون التجارة ، وتعريب القانون المدنى الفرنسى ، ورسالة المعادن ، والمنطق وهو ترجمة لكتاب دومرسيه ، وهندسة سانسير ، وغيرها ، حتى ليقال إنه ترجم بنفسه وبإشرافه ما ربو على سمائة كتاب .

على أن هذه النهضة التعريبية التى كان زعيمها رفاعة بك ، سرعان ما سلط على دوحتها أعاصير من جو السياسة عبثت بأصولها ، وأصابتها بما أوقف نموها واطرادها ، وهى بين الفينة والأخرى ما تزال بين النماء والذبول ، إلى أن استقر أمرها فى وقتنا الحاضر بما نرجو له دوام الإطراد والتقدم والتحرر ، بفضل جهود العاملين على رفع مستوى الثقافة من رجال العلم ورجال الحكم .

لقد خطر لى أن أتحدث عن رفاعة بك هذا الحديث الذى أسجل به فضله وسبقه ، عند ما أردت أن أقدم هذا السفر النفيس الذى وضعه المستشرق الفرنسى الأستاذ جوتييه ، وقام بترجمته الأستاذ الشيخ محمد يوسف موسى . لقد سرنى أن يصل هذا الأستاذ الأزهرى ما بين ماضى رجال الأزهر وحاضرهم فى تعريب الثقافات الأوربية التى نحن فى أشد الحاجة إليها وإلى من يحسن نقلها ، وأعجبنى أن ينهض الأستاذ بإكمال ما بدأ به رفاعة بك . وعسى أن يكون فيما أدرك من نجاح وتوفيق فى تعريب هذا الكتاب حافز له ولأمثاله من نابهى رجال الأزهر ، على إتمام تلك السلسلة

(١) Jomard (٢) Sylvestre de Sacy

من رسالة إلى صديق

ساعات بين الكتب

[للأستاذ العقاد]

للأستاذ حسين الغنام

عندما زرت أخى الأستاذ الأديب محمد محمد يوسف وهو مريض، لم يمنعه مرضه أن يسألنى عن الكتب الجديدة ما ظهر منها وما قرأته، فلما آنست فيه قدرة على القراءة بعد مرضه ارسلت إليه كتاب العقاد مع رسالة جاء فيها عن هذا الكتاب الجديد مايلى : —

تذكر يا أخى الدراسة المطولة التى كتبتها عن رسالة العقاد « مجمع الأحياء » ، عند ما قرأتها لك، وتذكر الجزء الذى نشرته منها فى مجلة « الرسالة » وقلت فيه : « كان فرحى بظهور هذا الكتاب فرحاً عظيما ، لأن إعادة طبعه كانت رغبة ، بل أمنية ، اشتهيتها منذ بضعة عشرعاماً ، وظهوره فى طبعته الثالثة يسد نقصاً فى المكتبة المصرية »

وهذه الأمنية وهذا الكلام ينطبقان على كتاب العقاد الجديد وهو الجزء الثانى من « ساعات بين الكتب » ، حتى لقد هممت — كما تعلم — مرات عديدة أن أكتب إلى العقاد ليجمع تلك المقالات وينشرها فى كتاب ، فى زمن كادت تنعدم المقالة فيه ، إلا بعض مقالات للعقاد نفسه ، وللزيات ، ولطه حسين ، وآخرين قليلين

والذى طالع الجزء الأول من كتاب العقاد « ساعات بين الكتب » ، طالع فيه جديداً ، ولا شك فى الأدب العربى ، حتى أن الكثيرين من الكتاب أخذوا يقلدونه ، ولكنهم عادوا فانصرفوا عنه يائسين !

وهذه الدراسات التى جمعها العقاد مما نشر فى البلاغ الأسبوعى والضياء ، والدستور ، وطبعها فى كتاب ، فصارت أشبه بالجامعة التى تفرقت كلياتها ثم اجتمعت فى بقعة واحدة ! .

وفى الحق أن مقالات العقاد ، أو كتبه ، هى مدارس أو كليات قائمة بذاتها ، ففى كل مقالة منها ، وفى كل رأى له ، درس جديد ....

وكتابة العقاد تمتاز بميزات كثيرة ، أولها :

١ — الثقافات الواسعة المهضومة على تعددها، مع استقلال الرأى

٢ — التركيز والإلمام بالموضوع من أطرافه .

٣ — نفاذ البصيرة وإشاعات الذكاء العبقرى

٤ — قوة التركيب ومتانة الأسلوب وحلاوته

هذه هى الخصائص الأولى فى كتابات العقاد ، وهذا مايطالع القارئ فى هذا الكتاب ، وهذا ما سوف يطالعك عند قراءته !

* * *

وإذا كان لى أمنية أخرى ، فهى طبع المقالات العديدة المتفرقة للعقاد ، فى الرسالة وغيرها من المجلات ، ثم تدريس هذه المقالات المستقلة لطلبة الجامعتين المصريتين ، فإن فيها فناً أدبياً قائماً بذاته ، ولا نظن أحداً يستطيع أن يجارى العقاد فيه ...

التى صاغ حلقتها الأولى سلفهم الكريم .

إنى إذ أهنئ الأستاذ بإخراج هذا الكتاب فى ثوب عربى فائق ، لأهنئه أيضاً بحسن اختياره للموضوع ؛ إذ أن كتاب الأستاذ جوتييه هذا يعد من الكتب ذوات الخطر فى دراسة الفلسفة الإسلامية .

ولقد كان من حسن حظ هذا الكتاب أن يجد من أبناء العربية رجلا فاضلا مثل الأستاذ المعرب ، له من الإلمام الواسع بالعلوم الفلسفية ما مكنه من أن يحسن عمله ، فيستحق منا ومن قراء العربية شكراً موفوراً .

إعلان

كتاب مدخل إلى دراسة الطب التجريبي

قامت وزارة المعارف العمومية بتعريب وطبع الكتاب المذكور الذى ألفه بالفرنسية (كلودبرنار) وذلك جريا على الخطة التى انتهجتها فى نقل طائفة من عيون الكتب الأجنبية إلى اللغة العربية لتيسر على الراغبين فى الاستفادة من قراء العربية الاطلاع على أحدث الآراء الغربية وهـذا الكتاب معد الآن للبيع وثمن النسخة منه ٦٠ مليما (ستون مليما)، ويمكن الحصول عليه من المخازن المختامة بديوان الوزارة بشارع الفلكى ومن مخازن الوزارة الفرعية بالأسكندرية طنطا ، الزقازيق ، بنى سويف ، أسيوط قنا .
٣٨٨٨

إدارة البلديات العامة ـ تنظيم

تقبل العطاءات بمجلس طوخ البلدى حتى ظهر يوم ١٥ ـ ٨ ـ ١٩٤٥ عن توريد ١٢٠ أردبا من الشعير ويجب أن ترفق العطاءات بتأمين ابتدائى قدره ٢ ./. من قيمتها .
٣٨٧٠

مجلس مديرية الغربية

يعلن عن توريد خلمات المؤسسات (جلود — خيزران — حدايد وبويات) وتطلب الشروط على عرضحال دمغة مرفقا به إذن بريد بمبلغ ٢٠٠ مليم وتقدم العطاءات لغاية يوم ١٨ (ثمانية عشر) أغسطس ١٩٤٥
٣٨٥٨

نشر بالعدد ٦٢٩ بالإعلان ٣٨٥٨ « مركز مديرية الغربية » والصواب : « مجلس مديرية الغربية »

محكمة هيها الجزئية الأهلية

إعلان بيع عقار نشرة أولى فى القضية ن ١٠٧٨ سنة ١٩٤٣

أنه فى يوم الثلاثاء ٤ سبتمبر سنة ١٩٤٥ من الساعة ٨ أفرنكى صباحا بقاعة البيوع والمزايدات بسراى المحكمه الموافق ٢٧ رمضان سنة ١٣٦٤

سيباع بطريق المزاد العلنى العقار الآتى بيانه بعد والمملوك إلى / ١ على محمد خليل من الرباعى مركز كفر صقر وغير معلوم له محل إقامة بالقطر المصرى / ٢ نبوية محمد خليل من الناحية المذكورة بصفتهما وارثين لأخيهما المرحوم السيد أحمد خليل / ٣ محمد رجب محمد خليل بصفته وارثا لوالده المرحوم رجب محمد خليل الوارث لأخيه المرحوم السيد أحمد محمد خليل ومقيم بحارة الشرايبة جامع أزبك ن ١١ بركة الفيل قسم السيدة زينب ن ٤ محمد محمد خليل بصفته وارثا إلى أخيه المرحوم السيد أحمد محمد خليل من الإبراهمية مركز هيها شرقية .

وهـذا البيع بناء على طلب الحاج محمود منصور بسيونى من الإبراهمية مركز هيها شرقية ـ وفاء لمبلغ ٥ ج م ٧٤٠ مليم بثمن أساسى قدره ٥ ج ٥٠٠ مليم وما يستجد من المصاريف : بناء على حكم نزع الملكية الصادر من محكمة هيها الأهلية فى ٢٠ ـ ٣ ـ ١٩٤٥ ومسجل فى ٢٧ منه ن ١٣٢ تسجيلات الزقازيق الكلية

بيان العقار

٨٧ سنتى و ٤٣ متر بحوض أم الرقيص قسم ثانى ن ٣ ضمن القطعة ن ٢٣٧ هذا القدر عبارة عن أودة مبنية بالطوب الأخضر ومؤسسه بالطوب الأحمر كاملة الأبواب والمروشات والشبابيك وبينها فضاء من بحرى شارع ص ٢٣٧ وطوله ٦ و ٧٥ متر وغربى باقى ملك محمود منصور بسيونى ص ٢٣٧ وطوله ٦ و ٥٠ متر وقبلى كذلك ص ٢٣٧ وطوله ٦ و ٧٥ متر وشرقى بعضه ورثه نفيسة خليل قطورة وبعضه خديجة عبد الغفار سيد أحمد ص ٢٣٧ وطوله ٦ و ٥٠ متر

٨٧ و ٤٣ فقط ثلاثة وأربعين متر وسبعة وثمانين سنتى بناحية الإبراهمية مسكنة هيها .

فعلى راغب الشراء الحضور فى الزمان والمكان الموضحين للمزايدة ومن رسى عليه آخر عطاء يدفع بالجلسة عشر الثمن والمصاريف ورسم مرسى المزاد ويقوم بدفع الباقى فى الميعاد القانونى وإذا تأخر يعاد البيع على ذمته ويلزم الفرق . وشروط البيع وجميع الشهادات مودعه بملف الدعوى بقلم الكتاب لمن يريد الاطلاع عليها

كاتب البيوع

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)